



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

وسلاحه البکا

اوابک یاولدی الحیب

وسلاحه البکاء

و سلاحه البکاء

کمال السید

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب

كاتب:

كمال السيد

نشرت فى الطباعة:

انصارىان

رقمى الناشر:

مركز القائمىة باصفهان للتحريات الكمبيوترىة

الفهرس

٥	الفهرس
٧	و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب
٧	اشارة
٧	و سلاحه البكاء (٠١)
٨	و سلاحه البكاء (٠٢)
٩	و سلاحه البكاء (٠٣)
٩	و سلاحه البكاء (٠٤)
١٠	و سلاحه البكاء (٠٥)
١٠	و سلاحه البكاء (٠٦)
١١	و سلاحه البكاء (٠٧)
١٢	و سلاحه البكاء (٠٨)
١٢	و سلاحه البكاء (٠٩)
١٣	و سلاحه البكاء (١٠)
١٤	و سلاحه البكاء (١١)
١٥	و سلاحه البكاء (١٢)
١٥	و سلاحه البكاء (١٣)
١٦	و سلاحه البكاء (١٤)
١٧	و سلاحه البكاء (١٥)
١٨	و سلاحه البكاء (١٦)
١٨	و سلاحه البكاء (١٧)
١٩	و سلاحه البكاء (١٨)
٢٠	و سلاحه البكاء (١٩)
٢٠	و سلاحه البكاء (٢٠)

- ٢٢ و سلاحه البكاء (٢١)
- ٢٢ و سلاحه البكاء (٢٢)
- ٢٣ و سلاحه البكاء (٢٣)
- ٢٤ و سلاحه البكاء (٢٤)
- ٢٥ و سلاحه البكاء (٢٥)
- ٢٦ و سلاحه البكاء (٢٦)
- ٢٧ و سلاحه البكاء (٢٧)
- ٢٨ و سلاحه البكاء (٢٨)
- ٢٨ و سلاحه البكاء (٢٩)
- ٢٩ و سلاحه البكاء (٣٠)
- ٣٠ و سلاحه البكاء (٣١)
- ٣١ و سلاحه البكاء (٣٢)
- ٣١ و سلاحه البكاء (٣٣)
- ٣٢ و سلاحه البكاء (٣٤)
- ٣٣ و سلاحه البكاء (٣٥)
- ٣٣ و سلاحه البكاء (٣٦)
- ٣٤ و سلاحه البكاء (٣٧)
- ٣٥ و سلاحه البكاء (٣٨)
- ٣٦ و سلاحه البكاء (٣٩)
- ٣٦ و سلاحه البكاء (٤٠)
- ٣٧ و سلاحه البكاء (٤١)
- ٣٨ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب

اشارة

سرشناسه : سيد، كمال، - ١٣٣٦

عنوان و نام پديد آور : و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب: روايه / كمال السيد
مشخصات نشر : قم: موسسه انصاريان للطباعة و النشر، ١٤٢٥ق. = ٢٠٠٤م. = ١٣٨٣.

مشخصات ظاهري : ص ١٥٩

شابك : ٢-١٦٠-٤٣٨-٩٦٤

وضعت فهرست نويسي : فهرست نويسي قبلي

يادداشت : عربي

يادداشت : كتاب حاضر با عنوان " و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب " نيز منتشر شده است

يادداشت : چاپ چهارم

عنوان ديگر : ابك يا ولدى الحبيب

عنوان ديگر : و سلاحه البكاء او ابك يا ولدى الحبيب

موضوع : حسين بن علي (ع)، امام سوم، ق ٦١ - ٤

موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١

رده بندي كنگره : BP٤١/٤/س ٥٩ و ١٣٨٣

رده بندي ديويي : ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسي ملي : م ٨٣-٣٥٣٤٢

و سلاحه البكاء (١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم لاحت من بعيد «ثنيات الوداع»، و القافلة المحملة بكنوز كسرى تشق طريقها بجلال تحرسها خيول و دروع. كانت الشمس قد بزغت كأنها تستقبل العائدين؛ أو لترى فتاة حملتها الأقدار من أرض النار، كانت تمعن في الفرار ولكن دون جدوى. اقترب صحابي أراد أن يحادثها... أن يقول لها كان سلمان يعيش في المدينة و كان رجلا من أهل البيت، كان يعيش في أرضكم ولكنه جاء يبحث عن النور ففر من النار. تتم أسفا و ود لو كان سلمان حاضرا، تمنى لو أنه قد تعلم منه لغة أهل تلك الديار. هبت نسائم طيبة، فتذكر حادثة قديمة لن ينساها يوم وصل رسول السماء أرض طيبة فصدحت الفتيات يغنين للبدر الذي أشرق في سماء المدينة. حانت منه التفاتة فألقى بنت كسرى حزينه لكان وجهها المضيء [صفحة ٤] تغمره غيوم و غيوم. تساءل في نفسه؛ ترى ماذا سيكون مصيرها انها سبيته على كل حال. هذا هو منطق الحرب. كان الموكب يقترب من المدينة. تمايلت سعفات النخيل، و هبت نسائم طرية مشبعة برائحة الخضار. تذكرت بنت آخر ملوك ساسان قصورها المنيفة، و تعجبت أن تكون هذه المدينة عاصمة الدولة التي لا تقهر! كيف هزم هؤلاء الحفاه العراء جيوش كسرى حتى لم يتركوا ل (يزدجرد الثالث) مكانا في خراسان و لا- في نيسابور و لا سرخس و لا طوس، و ها هي الأنباء تطير في الآفاق عن عبورهم «باب الأبواب» في بلاد الخزر تأوهت بحزن: - آه بيروز باد هرمز. المسجد يكتظ بالناس، و قد أشرفت عذارى المدينة يتطلعن الى ابنة الملوك، الى جمال فارسي يختطف القلوب و الأبصار. كانت الفتاة تدرك ما سيحل بها بعد قليل سوف تكون جارية في بيت طيني من بيوت المدينة. تجمعت الدموع في عينيها كغيوم

مطرة، راحت تتصفح الوجوه المحدقة بها... التقت عيناها وجها أفر عن ابتسامه أراد أن يبدد عنها خوف غامض فقال: - چه نام داری ای کنیزک؟ دهشت لهذا الرجل الذي يتحدث بلغتها.. [صفحة ٥] أجابت باستحياء: - شاه زنان. أراد الرجل الذي يشبه الأسد أن يمنحها اسما جديدا فقال: - شهربانو. ابستمت الفتاة و شكرت في أعماقها الرجل لهذه الهدية. ما أجمله من لقب... سيده المدينة. سأل الرجل وقد أراد أن يكشف ما تعلمته من الزمان: - هل حفظت عن أبيك شيئا؟ أجابت بلوعة: - كان يردد قبل مصرعه: اذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، و اذا انقضت المدة كان الموت في الحيلة. ابتسم الرجل الذي تنفجر الحكمة من جوانبه: - ما أحسن ما قال أبوك، تذلل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير. ساد الصمت و وقفت الفتاة تنتظر النهاية مستسلمة، ها هي الأقدار ترسم الطريق من قمم الجبال الشاهقة الى الهاوية! من المجد و الملك الى السبي و العبودية. كانت على وشك أن تعرض في الأسواق بعد أن أمر الخليفة بذلك. و قبل أن تخطو باتجاه النهاية ألقت نظرة رجاء على الرجل لعله يشترها. [صفحة ٦] هتف الرجل معترضا، رغم غضب الخليفة: - لا يجوز بيع بنات الملوك. تذكر الصحابة كلمات قالها النبي يوم وقعت سفانة ابنة حاتم في الأسر: ارحموا عزيز قوم ذل. لقد نسيها الجميع و ها هو أخو النبي يذكرهم بعد تطاول الأيام. - و ما هو الحل اذن؟! تساءل الخليفة حقا. - أعرض عليها أن تختار رجلا من المسلمين يتزوجها و يحسب مهرها من عطائه. تصاعدت صيحات الاستحسان من زوايا المسجد كانوا يشوق الى ملكة فارس، ترى من ستختار، انها على كل حال تمثل امه كانت تحكم نصف العالم ذات يوم. و راحت ابنة كسرى تبحث عن رجل تلوذ به، تأمل الوجوه تبحث عن الانسان.. تبحث عن يهبها رحمة الأيب و دفء الام. و استقرت عيناها على شاب أفتى الأنف كأن عينيه نافذتان تطلان على عوالم تزخر بالنور و الصفاء و الحرية؛ فأشارت اليه. هتف بعضهم اعجابا: - ما أحسن ما اختارت، و هل هناك من هو أشرف من سبط محمد و ابن سيد العرب. قال سيد العرب لابنه و قد تذكر نبوءة سمعها من رسول السماء: - ليلدن لك منها صبي هو خير أهل الأرض. [صفحة ٧]

و سلاحه البكاء (٠٢)

كانت ترنو الى وليدها بعينين مجهدتين، أضنتها آلام المخاض، ها هو يغفو الى جانبها كقمر صغير، كوردة نسرین تتفتح للربيع. كانت ترنو اليه بحزن. نداء ما يضح في أعماقها كأنه يدعوها للرحيل. الرحيل الى عوالم بعيدة. فتح الصبي عينيه كأنه يبحث عن أمه؛ هز المهد بقدمه الصغيرة. تجمع خوف برى في عينيه، و طافت وجهه المستدير غيمة حزينة و انبعث صراخ طفولي فيه نشيج الميازيب في مواسم المطر. كان الصوت يخترق أذنيها... يدوى في أعماقها يفجر ينبوع الامومة.. ولكن الجسد الخائر لم يقو على الحراك، و قد أوشكت الروح على الرحيل و الصبي يصرخ و يصرخ كأنه يتشبث بروح وهبته الروح. تمتمت بأسى: - ابك يا ولدي الحبيب. ثم أغمضت عينها الواهنتين لتغفو بسلام؛ فيما ظل الصبي يبكي. [صفحة ٨] كانت السماء تسح مطرا ناعما، و كأن الغيوم تبكي بصمت، و امتزج بكاء الصغير مع نشيج الميازيب. لكأن الأقدار رسمت لهذا الصبي طريقا منقوعا بالدموع مضمخا بحزن سماوى ورثه أجداده عن آدم يوم قتل هابيل. و تمر السنون، و التاريخ يشعل الحوادث المدماء هنا و هناك. تدفقت دماء جده في المحراب قانية تلون أفق التاريخ، حتى اذا مضت خمسون سنة على الهجرة أشعل التاريخ حادثة في منزل عمه سبط النبي و ريحانته. كان الحسن يتلوى من الألم.. آلام رهيبه كخناجر تغوص في قلبه تمزق كبده. وقف على الى جانب أبيه يراقب عمه بذهول. هتف الحسين بمرارة: - ألا تخبرني بمن دس اليك السم؟ تمتم الحسن و كأنه يحدث نفسه: - لقد سقيت السم مرارا فلم يفعل مثل هذه المرة. شعر بأن نارا مجنونة تشعل الحرائق في أعماقه، ماذا يقول لأخيه؟ أنه يعرف من دس السم، هناك في بلاد الشام رجل من طلقاء جده يخلط السم بالعسل... سلاح جديد يستخدمه منذ سنين بعد أن وضعت الحرب أوزارها. رجل تحوطه سيوف و قلاع؛ و ما «جعدة» الا ضحية مرض [صفحة ٩] و بيل، عقده ورثها قابيل ابناه. و أغمض الحسن عينيه ليفتحهما في عالم آخر... عالم ملئ بالمسرات الخالدة. و مضى التاريخ يشعل الحوادث، مات «ابن كلدة» طيب العرب و كان قد أخذ الطب عن أهل فارس، و ماتت عفراء و كانت من أهل البادية

يتغنون بقصة حبها العذرى لابن حزام؛ وماتت ميمونة و كانت امرأه و هبت نفسها للنبي. مضى التاريخ يشعل الحوادث، ارتفعت في سماء «الفسطاط» بمصر أول منارة في الاسلام و الجيوش الاسلاميه تدق بعنف أبواب القسطنطينية و استشهد أبوأيوب فدفن تحت أسوارها. و مات سعد آخر المهاجرين و ترك بقصره «العقيق» ذهاباً و فضةً و ابناً سيسل سيفه لمحو التاريخ الهجري. [صفحة ١٠]

و سلاحه البكاء (٠٣)

دار الزمن دورته و أطل عام ستين، عام فيه يضام الناس و فيه يعصرون، مات معاوية.. و قد حول المنبر الى عرش فأورثه ليزيد، كان يزيد في «حوران» يقضى وقته في ملاعبة قرده، مستمتعا بكلاب الصيد التي ملأت الجو نباحاً كشرطه أغضبها فرار تائر كانت قد ألقى القبض عليه. دخل قصره و قد بدت عيناه جمرتين متوقدتين. ألقى نفسه على السرير و أشار الى الحاجب اشارة عرف مغزاها على الفور. دخلت جارية رومية تحمل ابريقاً فيه خمره معتقه، برقت عيناه شهوةً و كادت نظراته تفترس مفاتها. كان الحاجب يصغى من وراء الأبواب الى ضحكات خليعة. غرقت «حوران» في بركة الظلام، توثبت شياطين الجن و الانس و تحفزت النمر المختبئة، حطمت قضبان الصدور، و راحت تعربد. يزيد يتقلب في فراش نسجته ديدان القز، و الى جنبه تمدد قبيس فاغرا بوزه ببلاهة. [صفحة ١١] و في عالم الأشباح رأى أنهاراً من دم تتدفق ما بين «الشامات» و بين «الحيرة» و رأى جماجم و ضحايا؛ اجساداً بلا رؤوس و رؤوساً بلا أجساد، و رأى نفسه يخوض أمواج الدم، يغرق في برك حمراء حمراء. هب من نومه مذعوراً، و قد توقدت عيناه فبدت كجمرتين أو كوتين مفتوحتين على جحيم مستعرة. فجأة دخل أحدهم يحمل معه كتاباً فأوجس يزيد خيفةً كانت سحنة الرجل بلا لون؛ فقد حار هل يظهر حزنه بموت معاوية أم يتظاهر بفرح من أجل يزيد خليفه للمسلمين جديد. رقص النمر المتوثب في الأعماق... وجد نفسه طليقاً حراً. ها هي الدنيا ترمك عند قدميه، و الرجال تحنى هاماتها له، سيكون الأمر الناهي من شواطئ بحر الخزر الى عدن. فجأة قفز اسم الحسين الى الذاكرة. هتف متوعداً: - هذا الشجي الذي يعترض حلقي. أصدر يزيد أول أوامر الخلافة: - الى دمشق. [صفحة ١٢]

و سلاحه البكاء (٠٤)

كانت أزقة المدينة غارقة في الليل، و بدت النجوم كقلوب واهنة تنبض من بعيد، و قد جنح القمر المثلوم للمغيب فبدا كوجه مكدود أرهقه السهر. كان رجل يمضى قدما يشق طريقه في الظلام، و في رأسه فكرة واحدة؛ ان يبلغ الحسين بدعوة «الوليد» أمير «المدينة» و حاكمها المطاع. أفاق على صوت خبط للباب و أدرك انها قبضة شرطى جاء بأمر ما. قال الحسين و هو ينظر الى النجوم البعيدة: - رأيت في عالم الأطياف منبر معاوية منكوساً و قد شبت النار في قصره... و ما أظنه الا هالكا، فجاءوا يأخذون البيعة ليزيد. أمسك سبط محمد قضييا لرسول الله، فقال رجل هاشمي: - قد يغتالونك، فالظلام يخفى سيوفاً و خناجر. أجاب ابن محمد: [صفحة ١٣] - لا تخش شيئاً. أنتم ثلاثون رجلاً. تأهبوا عند الباب، فاذا سمعتم صوتي قد علا، فاقتحموا. جلس الحسين قبالة الوليد، و كان ابن الزرقاء ينظر بحقد و لؤم... تتمم الوليد و كأنه يلوك الكلمات بصعوبة: - كان معاوية سور العرب... قطع الله به الفتنة و ملكه على العباد وفتح به البلاد، الا- أنه قد مات فخلف يزيد من بعده و هو يريدك أن تباع. أجاب الحسين: - مثلي لا يباع سرا.. فاذا دعوت الناس غدا دعوتني معهم. أطرق الوليد و قال: - صدقت أبا عبد الله انصرف الى منزلك. انبرى مروان بخبث: - احبسه أيها الأمير حتى يباع أو تضرب عنقه. هتف الحسين بغضب: - يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ و أردف و هو يخاطب «الوليد» معلنا صرخه مكبوتة منذ عشرين سنة: - أيها الأمير: انا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملائكة بنا فتح الله و بنا، يختم و يزيد شارب للخمر قاتل للنفس المحرمة، و مثلي لا يباع مثله. [صفحة ١٤] حاول الوليد أن يتفادى العاصفة بمثلها، فالتمعت خناجر في الظلام و اقتحم رجال دار الامارة، و لاذ ابن الزرقاء مرعوباً خلف أميره. غادرت العاصفة مجلس الأمير.. تركته خاويماً على عروش، و أطل «مروان» كجرذ يخرج رأسه بحذر: - عصيتني و لن تحصل على مثل هذه الفرصة. - و بخ غيري يا مروان. أتريدني أن اقتل سبط محمد؟! - اذن لن

يباع حتى تتساقط القتلى. هز الوليد رأسه دون أن ينبس ببنت شفة. ربما كان يفكر بالأفق المضمخ بلون الدماء، أنه يعرف يزيد... ذلك النزق المتهور. أو لعله كان يعقد مقارنته بين مروان وأمه الزرقاء، و كان بيتها تخفق فوقه الرايات حيث يعبر الرجال مستمتعين. و بيت الحسين حيث منزل فاطمة مختلف الملائكة و أثر جبريل. يالسخريه القدر! و عندما أوى الوليد الى فراشه همست زوجته بمرارة: - كيف تسبه؟! - هو بدأني بالسب أول مرة. - أتسبه و تسب أباه ان سبك. أغمض عينيه المحتقتين و تمتم بندم: - لن أفعل ذلك أبدا. [صفحة ١٥]

و سلاحه البكاء (٥)

هجمت العيون، و أوت الكائنات الى مضاجعها فالليل أعشاش دافئة، و منازل هادئة، و عالم تطير فيه الأرواح تحلق بعيدا في دنيا شفافة، تتسلل من ثيابها السفلى، تخلع أهابها الجسدى لتحلق في عوالم الذر؛ و لو أصخيت السمع تلك الليلة لسمعت خطى هادئة تتخذ سمتها نحو قبر يضم رسول السماء الى الأرض، و لو دقت النظر لرأيت رجلا ألقى الأنف أشمه في عينيه تتألق النجوم أنفاسه كأنفاس الفجر في لحظات الفلق. كان السبب يشق طريقه في أزقة المدينة الغافية، فهي لا تصحو على صوت خطاه، انها لن تستيقظ الا على سنابك خيل مجنونة، ها هو يتخذ سبيله نحو جده ينوء بحمل أمانه أبت السماوات حملها و الأرض. أدرك على ما يموج في أعماق أبيه من هموم، منذ زمن و هو يصغى الى استغاثات تأتي من بعيد... من أرض السواد، من مدينة كانت ذات يوم عاصمة جده، ها هي اليوم تستيقظ... تتأوه من سياط [صفحة ١٦] الجلادين، تبحث عن رجل منحها المجد. كان على في ركن من حجرة طينية متوجه بكليته صوب أول بيت وضع للناس، قلب يخفق كما تخفق النجوم بضوئها الأزرق. تنساب الكلمات من بين شفثيه كنهر هادى تترقق في سمع الكون، لحظات يلتحم فيها الانسان بالعالم الأكبر في لحظة اكتشاف كبرى حيث تنحسر الأشياء عن ظاهرها الخادع، تبرز الحقيقة ناصعة أن لا شىء سوى الله.. الله وحده. الكلمات الانسانية تتدافع كأموج متلاحقة باتجاه عوالم لا نهائية.. وحده صوت الانسان يعبر عن الحقيقة في صمت الليل. - اللهم يا ملاذ اللاتدين... و يا معاذ العائدين... و يا عاصم البائسين... و يا مجيب المضطرين... و يا جابر المنكسرين... و يا مأوى المنقطعين و يا ناصر المستضعفين... و يا مجير الخائفين... و يا مغيث المكروبين ان لم أعذ بعزتك فبمن أعوذ، و ان لم ألد بقدرتك فبمن ألوذ؟ ما أجمل أن يلتحم الانسان بمسيرة الكون... و ما أسمى أن يكتشف طريقه الى الله... و ما ألد لحظات الحب عندما تعرف النفس بارئها فتحلق بين النجوم و تصطف مع الملائكة تسبح بحمد ربها... فاذا الكون محراب عبادة و المجرات محطات رحيل. الرواحل تتخذ طريقها صوب مكة و صوت له نفحة السماء يخترق آذان الليل: [صفحة ١٧] - فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين. الصحراء مد البصر و الطريق الذى رسمته القوافل منذ عشرات السنين يتألق في ضوء القمر كأنه يشير الى مكة مهوى الأفئدة، عاد الصوت الملائكى يعيد الى الأذهان قصة الشريد الذى اخترق صحراء سيناء وحيدا: - و لما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل. - الى أين يابن محمد؟ - الى مكة. - ألم يهاجر جدك الى يثرب بحثا عن وطن... عن أرض يعبد فيها الله وحده؟ - أجل و يثرب فى قبضة الطلقاء.. فى أيدي أعداء الأمس. - كيف عبروا الخندق... - لقد ردم الخندق فى «السقيفة»... بعد أن أغمض النبى عينيه. [صفحة ١٨]

و سلاحه البكاء (٦)

يا مكة يا مدينة مترعة بالحزن، لم تطل فرحتك سوى عدد سنين يوم تهاوت الأصنام أنقاضا عند جدران البيت العتيق، جاءت أصنام اخرى.. أصنام من طين.. من صلصال من حمأ مسنون. و ها هو حفيد محمد جاء ليحطم الأوثان الآدمية... ولكن كيف و يزيد عجل له حوار.. و قد عكفت الامه عليه فلا صوت و لا رأس يرتفع.. ليقول: لا.. لماذا يدور الحسين فى شوارع المدينة... يطوف حول الكعبة العظيمة... يدور حول البيت. لماذا يسعى بين الصفا و المروة يبحث عن نبع ماء مفقود، فمكة عادت من جديد واد غير ذى زرع... لم

بيكى عند «خديجة» فالعام عام حزن و قد غاب أبوبال و أضحي محمد وحيدا يبحث عن أنصاره ليهاجر. و جاء رجل من أقصى المدينة يسعى: - يا حسين عجل بالخروج فابن العاص قادم و معه أمر [صفحة ١٩] باغتيالك. - لا محيص عن يوم خط بالقلم... رضا الله رضانا أهل البيت... ألا- من كان موطننا على لقاء الله نفسه فليرحل معي، فاني راحل. - الى أين يا أبا عبد الله؟ - الى صحراء بين النواويس و كربلاء. قال رجل مشفق: - امكث في مكة فأنت سيد الحجاز. - لا أريد أن تستحل حرمة البيت بقتلي؟ - و هل يجسرون على قتلك. - أجل ليعتدن على كما اعتدت اليهود في السبت. و قال أخوه من أبيه: - كيف تثق بأهل الكوفة و قد غدرت بأبيك و أخيك؟ - أخشى أن يغتالني يزيد في الحرم فتستباح حرمة البيت. و عندما استوى الحسين على ناقته، قال أخوه و قد أخذ بزمامها: - لا تأخذ النسوة معك اذن. قال الحسين و هو ينظر الى الافق المضمخ بحمرة الشفق: - شاء الله أن يراهن سبايا. ثمانية أيام مضين من شهر ذي الحجة، غادرت قافلة عجيبة ديار مكة... كانت تسير على هون و بدت الجمال كسفن تبحر في صحراء متموجة تريد أن تحدد للتاريخ وجهه جديدة. [صفحة ٢٠] النجوم تتألق في سماء بدت كعباءة عربية غارقة في الكحل، أشرق هلال المحرم فبدأ في غمرة الظلام و امتداد الرمال ابتسامه مكلوم، أو زورق يودع بحيرة رائقه. سر ما شد القافلة الى هذه البقعة من دنيا الله، لكأنما تسمرت حوافر الخيل و بركت النياق كسفن ألقط مراسيها في مرفأ مهجور. شعر على بالاعياء يسرى في جسده حتى سلبه القدرة على النهوض، ولكنه جرجر نفسه بعناء الى خيمة جلس فيها الحسين يرسم لأصحابه طريقا عجيبا. تمتم الحسين آسفا: - الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معاشهم. و سكت هنيهة و أردف: - قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون.. و ان الدنيا قد تغيرت و تنكرت و أدبر معروفها و لم يبق منها الا صباية كصباية الاناء و خسيس عيش كالمرعى الويل... ألا ترون الى الحق لا يعمل به و الى الباطل لا يتناهى عنه. ليرغب المؤمن في لقاء الله... فاني لا- أرى الموت الا- سعادة و الحياة مع الظالمين الا برما. هتف زهير و كان قد التقى الحسين على قدر: - لو كانت الدنيا لنا باقية و كنا خالدين فيها لاخترنا الموت معك. قال برير و كان من قراء الكوفة: [صفحة ٢١] - انها نعمة يابن رسول الله أن نقاتل معك و أن تمزق أجسادنا ليكون جدك شفيعنا يوم القيامة. و هتف ابن هلال بحماس من اكتشف ينابيع الخلد: - سر بنا راشدا شرقا شئت أو غربا... انا نحب لقاء ربنا على نيائنا و بصيرة من أمرنا... نوالى من والاك و نعادى من عاذاك. انبرى الرجال لدق أوتاد الخيام كأنهم يحددون معالم مدينة ستولد فيما بعد. ازدحمت في السماء سحب كأكوام من الرماد تراكم بعضها فوق بعض، و بدا الجو مشحونا بالغضب؛ و اختلطت أصوات الرجال برغاء الجمال و صهيل الخيل وقعقة الأسلحة. انتشر أربعة آلاف من الذين لا- ايمان لهم على طول شاطئ الفرات و بدت الرماح بانصالتها خناجر في خاصرة النهر حيث راحت أمواجه تتدافع باتجاه الجنوب فرارا من نفوس مكتوب عليها الشح و لو بقطرة ماء. مرت سبعة أيام من المحرم، و الحصار يشتد. كان «ابن سعد» يمني نفسه باستسلام القافلة، فالماء يعنى الحياة، و منعه يعنى الموت و هل هناك من يختار الموت على الحياة؟ - ولكن فيها أطفالا. - ليكن انها الحرب. - لقد سقانا الحسين قبل أيام... سقى ألف انسان و ألف حصان. [صفحة ٢٢] - لأنه يجهل لعبة الحرب... - بل لأنه انسان. - و نحن؟! - أنتم لم تعودوا شيئا. لقد مات الانسان في أعماكم و انتصر الخنزير القابع في نفوسكم. - كفى هراء.. سوف يستسلم الحسين و عندها سأنطلق الى «الري و جرجان»... سأحكم بلادا واسعة. - والحسين؟! - الحسين.. الحسين.. ليتنح عن طريقي و الا سأعبر فوق جسده.. و لتمزقه سنابك خيل مجنونة. [صفحة ٢٣]

و سلاحه البكاء (٠٧)

كانت مضارب القافلة بين يدي «ذو حسم» و لو قدر لأحد أن يراقب من فوق قمته المكان لرأى خياما متناثرة هنا و هناك حيث يمر الفرات تتدافع أمواجه كأفعى مذعورة. كان الحسين واقفا أمام خيمة تعصف بها الرياح من كل مكان. ينظر الى الافق البعيد البعيد كما لو أنه ينظر الى آخر الدنيا. جنحت الشمس للمغيب.. رسمت لوحتها الحزينة في السماء كجراح الأنبياء، و شيئا فشيئا غادرت حمرة الغروب و امتلأ الافق رمادا و فتحت النجوم عيونها و راحت تنبض في صفحة السماء كقلوب خائفة. في غمرة الظلام المهيم و قد

سكنت الأصوات فلا تسمع الا همسا، هتف ابن سعد متوجسا و هو يتطلع الى «ابن قرظة»: - ماذا تريد؟! - أرسلني الحسين للاجتماع بك بين العسكرين. - و من معه؟ [صفحہ ٢٤] - أخوه العباس و ابنه علي. - التفت ابن سعد الى غلامه و الى ابنه حفص: - انهضنا معي. كان ابن سعد يجرجر خطاه مترنحا، و آلاف الأفكار تتراكم في رأسه كأرانب مذعورة، قال في نفسه: - ترى ماذا سيفعل الحسين؟! هل يفر في جنح الظلام؟ هل يستسلم؟ هل يقاتل؟ ولكن كيف يفر من كان أبوه علي؟ و كيف يستسلم سبط محمد للطلقاء؟! أم تراه سيقا تل بسبعين رجلا!! لاح الحسين من بعيد كنخله هيفاء. هتف ابن سعد مأخوذا: - أية روح ينطوى عليها هذا الرجل؟! - أتحاربنى يا ابن سعد... و أنا ابن من تعرف؟! و سكت هنيهة ثم أردف مضيئا له الطريق: - كن معي ودع هؤلاء فهو أقرب الى الله. انتصبت أحلام ابن سعد أمام عينيه.. تجسدت رؤى و خيالات طالما شغلت رأسه و استحوذت على روحه. رأى فتيات جميلات في القصور يمرحن بغنج، فقال بنفاق: - لسوف يهدمون دارى. [صفحہ ٢٥] - أنا أبنها لك. - و بساتينى... أنهم سوف ينتزعونها منى. - أعطيك «البغيغ» فيها زروع كثيرة و نخيل. - و عيالى؟! اننى أخشى عليهم بطش ابن زياد. أدرك الحسين ان هذا الرجل قد مات منذ أمد بعيد... لم يعد سوى جثة تنه. نهض السبط و قال بغضب: - مالك؟! ذبحك الله على فراشك.. و انكشفت له صفحة الغد فقال: - لن تأكل من قمح العراق الا يسيرا. تتمم «ابن سعد» و ابتسامه ساخرة ترسم على شفتيه: - فى الشعر كفاية. [صفحہ ٢٦]

و سلاحه البكاء (٠٨)

جثم صمت رهيب فوق المكان و ألقى الحزن كلاكه كغراب اسطورى؛ و القلوب الصغيرة الظامئة تصغى الى أصوات بعيدة تأتي من جهة الفرات كعواء ذئاب جائعة فى ليلة شتائية. قالت امرأة اسمها زينب: - لقد اقترب العدو. التفت الحسين الى أخيه. - انهض لترى ماذا يريدون. عوى ذئب من بعيد: - الاستسلام أو الحرب. هتف حبيب مستنكرا: - بس القوم أنتم غدا عندالله.. أتقتلون سبط النبى... و قوما متهجدين بالأسحار يذكرون الله كثيرا. قال عزرة و قد برقت عيناه بشهوة الغزو: - انك تركى نفسك ما استطعت. [صفحہ ٢٧] رد زهير. - ان الله قد زكاه يا عزرة. لقد سولت لكم أنفسكم أمرا عظيما. - و متى كنت شيعه للحسين يا زهير؟! - جمع بينى و بينه الطريق... فذكرت به محمد. قال عزرة بصفاقة: - اننا نمثل لأمر خليفته. - يزيد!! - أجل أمير المؤمنين يزيد. هتف العباس ليضع حدا للمرارة: - اذن امهلونا هذه العشيء الى غد. رد ابن سعد و قد ذهبت به الظنون: - الى غد... ولكن اما الاستسلام أو الحرب. أصدر ابن سعد أمره بالانسحاب، و شيئا فشيئا انحسرت قعقة السلاح و كفت الخيل عن الصهيل و لم يبق سوى أصوات تشبه عواء الذئاب فى ليالى الزمهيرير. تسمر التاريخ عند خيمة أضواءها سراج واهن... كان يصغى الى كلمات آخر الأسباط. - أحمدك اللهم على أن أكرمتنا بالنبوة و علمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين و جعلت لنا أسماعا و أبصارا و أفئدة و لم تجعلنا من المشركين. كانت نظراته الدافئة تغمر رجالا ينشدون الموت من أجل [صفحہ ٢٨] الحياة، فانسابت كلماته كنه هادئ: - انى لا أعلم أصحابا أوفى من أصحابى و لا أهل بيت أبر من أهل بيتى... و انى أظن أن يومنا من الأعداء غدا؛ و انهم انما يطلبوننى و لو أصابونى لذهلوا عن طلب غيرى، فانطلقوا جميعا و هذا الليل فاتخذوه جملا و ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى و تفرقوا فى المدن البعيدة. - و أنت يا سيدى؟ - ما كان للحسين أن يفر. - ما قيمة الدنيا كلها سواك. قال ابن عوسجة: - والله لو لم يكن معى سلاح لقاتلتهم بالحجارة. و قال الحنفى: - لو قتلت سبعين مرة ما تركتك فكيف و هى قتلة واحدة. و قال زهير و هو يتطلع الى وجه مضمخ بعبير النبوات: - لو قتلت ألف مرة فلن أدعك و حيدا. و فى تلك اللحظات حيث تلتحم السماء بالأرض أشار الحسين فانكشفت الآفاق عن جنه عرضها كعرض السماوات و الأرض... جنات من نخيل و أعناب و الأنهار الخالدة تتدفق مطردة بدا الفرات ازائها كخيوط من الملح و الرماد. [صفحہ

و سلاحه البكاء (٠٩)

يا لها من ليلة عجيبة تمر لحظاتها كسنين متماذية، و ساعاتها كالعقرون لا تكاد تنتهي وكأنها تريد أن تستوعب التاريخ البشري بأسره. جلس على متهالكا و بدا جسمه حطاما حتى لم تعد له قدرة على النهوض، يتطلع الى النجوم... الى عالم لا-نهائي.. عالم مفعم بالصفاء.. عالم بعيد عن ويلات الأرض و ما يجرى فيها على يد الانسان. كانت خيمته الى جوار خيمة أبيه. الحسين وحيد وحيد... يعرف انها النهاية أو البداية.. راح على يرهف سمعه لكلمات أبيه و هي تترج مع صوت يشبه شحذ السيوف.. فالمعركة و شيكها قاب قوسين أو أدنى.. و غدا يوم الفصل. تطلع الى عمته التي دخلت توا ربما لتمرضه.. جاء صوت الحسين هادئا مثل ناي حزين، فيه عتاب للزمن الذي لا يكف عن الغدر: يا دهر أف لك من خليل كم لك بالاشراق و الأصيل [صفحة ٣٠] من طالب بحقه قتيل و كل حي سالك سبيلي ما أقرب الوعد الى الرحيل و الدهر لا يقنع بالبدل شعر على بالكلمات تغوص في قلبه.. تمزق شرايينه و تذبحه من الوريد الى الوريد، كاد أن يغرق في موجة طاغية من البكاء، و البكاء يكاد يكون سلاحا لمواجهة الزمن الغادر. فهذا الغضب المتفجر في الأعماق يدمر الأشياء.. يحيلها الى حطام اذا لم يجد متنفسا له في الدموع. فالسما ما تزال مشحونة لا تكف عن البروق، و الرعود لن تهدأ حتى ينهمر المطر مدرارا. و بكى على بصمت كسما تمطر على هون. لم تتمالك زينب.. لم يتحمل صبرها العجيب ما تسمع، فهبت تجر الذبول الى خيمة كالعرين. هتفت بصوت يشبه نشيج الميازيب في مواسم المطر: - ليت الموت أعدمني الحياة.. اليوم ماتت امي فاطمة و أبي على... يا خليفة الماضين و شمال الباقين. و رمق الحسين شقيقته التي اختارت طريقه، و قال مصبرا: - يا اختاه تعزى بعزاء الله... ان أهل الأرض يموتون و أهل السماء لا- يبقون و كل شيء الى زوال و يبقى وجه الله وحده. قالت و هي تنتحب: [صفحة ٣١] - أفتغضب نفسك اغتصابا.. ان قلبي لا يطيق. كان صمت الليل كفيلا أن يجعل من الاذن الآدمية مرهفة تلتقط حتى ديب الهوام فكيف بالبكاء في زمن غادره الفرح و بدت مقرفة فيه الأشياء. وجد الحسين نفسه وسط نسوة ينشدن الأمن في زمن الخوف كطيور مذعورة تبحث عن أعشاشها في غمرة الظلام. نظر الحسين الى زينب نظرة طويلة أودعها كل ما يريد. قال بحزن: - يا اختاه و يا فاطمة و يا رباب... اذا قتلت فلا تشققن على جيبا و لا تخمشن وجهها و لا تقلن هجرا. نهض الحسين يواجه الغد القادم بعد ساعات، فلقد اشتدت ظلمة الليل و بدت النجوم أكثر بريقا وكأنها عيون مفتوحة ترقب ما يجرى على شاطئ الفرات بين النواويس و كربلاء. و هناك على شاطئ النهر قطعان الذئاب تنتظر لحظة الانقراض على الانسان. [صفحة ٣٢]

و سلاحه البكاء (١٠)

ما تزال النجوم مسمرة في السماء كمسامير في لوح كحلي و قد بدا الجو مشحونا بالخطر؛ فالقافلة التي ألفت مراسيها في هذه البقعة من الأرض تحاصرها قطعان الذئاب. خرج الحسين يتفقد أرضا ستصبح بعد ساعات ميدانا لملاحمة عظيمة يتحطم فيها الانسان ولكنه لن يهزم أبدا تتمزق فيها الأجساد الآدمية اما الروح فستبقى متألقه قوية كما خلقها الله و أودع فيها كلمته. هتف «الجملي» و كان قد أفلقه خروج الحسين الى أرض يحرق بها الغدر من كل مكان: - الى أين يا سيدى الحسين. لقد أفرغنى خروجك وحيدا. أخشى عليك الغدر. - خرجت أتفقد هذه التلال.. أخشى أن تكون مكننا لهجوم الخيل يوم تحملون و يحملون. و أردف و هو يشد على يده بدفء: [صفحة ٣٣] - انظر... خيامنا مكشوفة الظهر؛ علينا أن نحفر الخنادق حتى لا تفاجئنا الخيل... و الخيام مبعثرة علينا أن نقارب بينها حتى لا ينفذوا خلالها. هتف الجملي مبهورا برجل لا يعرف اليأس رغم عنف العاصفة: - سيكون القتال في جبهة واحدة. - نعم في جبهة واحدة... لم تحن لحظة الفلق بعد عندما دبت في معسكر الحسين حركة تشبه دوى النحل... النحل الذي لا يعرف غير العمل. تشابكت أوتاد الخيام في عناق صميمي كأنه يعكس تلاحم القلوب... القلوب التي لا- تعرف غير الحب... و انبرى رجال يحفرون الخنادق ليملاؤها حطبا؛ فاذا اشتعلت المعركة تحول الخندق الى خطوط ملتبهة. شد رجل سحب النبي و شهد معه «احدا» جبينه بعصابة فأضاء مشهد في ذاكرته. كان صوت النبي و هو يخطط للمعركة عند جبل أحد مدويا: - انضحوا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا. انطلق الرماة الى جبل «عينين» و وصايا النبي في آذانهم... احموا لنا ظهورنا... ارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل... انا

لا- نزال غالين ما لبثتم مكانكم. انطفأ المشهد... و بلع الصحابي ريقه بمرارة لأنه تذكر كيف نسي [صفحة ٣٤] الرماة وصايا النبي فاجتاحت خيول قريش جيش محمد و راحت تفتك به كذئاب في ليلة زمهرير موحشة. راح يحقد بسبط محمد لكأنه ورث عبقرية جده... رجل لا يعرف للهزيمة معنى... انه يقتحم الموت اقتحاما، ينهال على صخرة العطش ليفجر منها ينابيع من سلسيل. انفلق الفجر و تبين للكائنات الخيط الأبيض من الخيط الأسود. و شيئا فشيئا لاحت من بعيد ذرى النخيل تحف الشيطان كعيون حورية شهيدة... و قد نزلت سورة المقاومة. ها هي الذئاب تعوى أسكرتها شهوة القتل، كدوامه راحت القبائل تدور حول قافلة جاء بها القدر. كان على ينوء بنفسه... بجسده الواهن... و قد أخفقت روحه العظيمة أن تنهض به؛ وفار غضب سماوى فى أعماقه و هو ينظر الى والده متقلدا سيف محمد يقاتل أشباه الرجال انهم لا أيمان لهم. تمت بغضب: - يا امه السوء بسما خلفتم محمدا فى ذريته. ودمعت عيناه و هو يراقب أباه يستوى على ناقة. فبدا فى عليائه كنبى يعظ قومه و ينذرهم سوء العذاب. راح يصغى الى كلمات الحسين و قد أشرقت شمس أطول يوم فى التاريخ. - أيها الناس ان الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء و زوال، متصرفه بأهلها حالا بعد حال؛ فالمغرور من غرته و الشقى من فتنته، [صفحة ٣٥] فلا- تغرنكم هذه الدنيا فانها تقطع رجاء من ركن اليها و تخيب طمع من طمع فيها و أراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم و أعرض بوجهه الكريم عبكم، و أحل بكم نعمته. فنعم الرب ربنا و بنس العبيد أنتم. أقررتم بالطاعة و آمنتتم بالرسول محمد ثم انكم زحفتم الى ذريته و عترته تريدون قتلهم. لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم فتبا لكم و لما تريدون. انا لله و انا اليه راجعون. هؤلاء قوم كفروا بعد ايمانهم فبعدا للقوم الظالمين. كانت الكلمات تنفذ فى قلبه تفجر حزنا و غضبا و دموعا. غامت المرثيات أمام عينيه، و تلاشت زعقات الرجال و سهيل الخيول، و شعر بروحه تحلق بعيدا حتى لم يعد يشعر بكل ما يجرى حوله من أهوال. [صفحة ٣٦]

و سلاحه البكاء (١١)

لا يدري كم مضى من الوقت عند أفاق... ولكنه عندما فتح عينيه ألقى ما حوله يدور فى دوامه رهيبه و قد تسمرت الشمس فى الأفق تتشظى لهيبا و جحيما، و كان أبوه فى قلب أصحابه و أهل بيته، و قد هبوا جميعا يكتبون بالدماء واحده من أعظم الملاحم فى تاريخ الانسان. رمى «ابن سعد» أولى سهام الموت معلنا بداية الحرب و صرخ بغرور: - اشهدوا لى عند الأمير انى أول من رمى. و انطلقت آلاف السهام لكأن السماء تمطر و ابلا من نبال. هتف الحسين محطما جدران الزمن: - قوموا الى الموت الذى لا بد منه... فان هذه السهام رسل القوم اليكم. حانت لحظة الالتحام. سبعون أو يزيدون يقاومون اعصارا محملا بحقد الشياطين و هى ترى الملائكة تسجد للانسان. [صفحة ٣٧] تبدد غبار الاشتباك، و قد أسفرت المعركة عن خمسين جريحا تناثروا فوق الرمال. و لو قدر لك أن تكون فى تلك الساعة فوق قمة «ذو حسم» لرأيت سبط آخر الأنبياء فى التاريخ و هو يعيد تنظيم قواته استعدادا لجولة اخرى.. و لذهلت لبسالة انسان لا يعرف للباس سبيلا الى نفسه. قلبه الذى يضاهاى الجبل بثباته لا يعرف غير المقاومة. انظر الى الجناح الأيمن فى جيش يزيد. لقد بدأ هجوما كاسحا. كان عمرو بن الحجاج يقود ذنابه لحسم المعركة. كان رجال الحسين يقاتلون بعزم حديدى أو أشد بأسا... حتى أجبروا المهاجمين على التراجع.. و قد سقط «ابن عوسجة» مضمخا بالدماء يتمم بصلاة هادئة. قال حبيب و كان صديقا له: - عز على مصرعك يا مسلم! ابشر بالجنة. همس بصوت واهن و قد ارتسمت ابتسامة كشمس تشرق من وراء الغيوم: - بشرك الله بالخير. قال حبيب: - لو لم أعلم انى فى الأثر لأحببت أن توصى الى. أجب مسلم ملقيا وصيته الخالدة للأجيال: - أوصيك بالحسين أن تموت فى سبيله. [صفحة ٣٨] هتف حبيب و قد تفجر فى أعماقه غضب سماوى: - أفعل و رب الكعبة. ظهر الشمر كخنزير يقود الجناح الأيسر من جيش يزيد... ها هو يستعد للغدر و الفتك و قتل أولاد الأنبياء. و استعد رجال الحسين لصد الهجوم، و امتلأ الفضاء غبارا و لهيبا و بدت السيوف فى غمرة التراب المتطاير صواعق تحتفل فوق الأرض. صرخ الشمر و هو يمزق خيمة الحسين بالرمح: - على بالنار لأحرقها على أهلها. فرت النسوة و الأطفال كطيور هاربة من سفن غرقت فى القرار. [صفحة ٣٩]

و سلاحه البكاء (١٢)

أشعلت القبائل النار في أطراف الخيام عن اليمين و عن الشمال للطباق على معسكر الحسين. هتف السبب بأصحابه: - دعوهم يحرقونها فانهم اذا فعلوا ذلك لم يجوزوا اليكم. حمى الوطيس و قد توسطت الشمس كبد السماء و هى ترسل حممها فوق بقعة من الأرض ملتبهة؛ و الذئاب تعوى منتشبة بثأر قديم. قال «الصائدى» و قد زالت الشمس: - انى لأحب لقاء الله و الصلاة معك. رفع الحسين طرفه الى السماء: - ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين. نعم هذا أول وقتها سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى. جاء صوت الحصين يقطر ندالة: - انها لا تقبل منكم. [صفحہ ٤٠] هتف حبيب بغضب: - زعمت انها لا تقبل من آل الرسول و تقبل منك يا حمار. و توجه الحسين بأصحابه الى السماء و قد حانت لحظة اللقاء. عندما تصفو النفوس تتحول الى أرواح مجردة تتخلص من اهاب الجسد و تحدث لحظة الاعتاق بين ما هو ملكوتى ينتمى الى السماء و بين ما هو مادي ينتسب الى الأرض. فى تلك اللحظات العصبية و الأجساد تنزف دما لله تفتحت أبواب السماء و هتف الحسين مأخوذا بما يرى من عوالم وردية: - يا كرام هذه الجنة قد فتحت أبوابها و اتصلت أنهارها و أينعت ثمارها و هذا رسول الله و الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يتوقعون قدومكم و يتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله و دين نبيه. و تضاءلت الدنيا حتى أصبحت أنفغ من جناح ذبابه، و هتف الانسان الذى انتصر الملاك فى أعماقه: - نفوسنا لنفسك الفداء و دماؤنا لدمك الوفاء... و الله لا يصل اليك و الى حرمك سوء و فينا عرق يضرب. لقد تحول الحسين الى رمز لكل الفضائل الانسانية فالدفاع عنه دفاع عن انسانية الانسان و قهر الشيطان. كان على يرقب من خيمته هول ما يجرى فوق الرمال. لا- أحد يدري كم هى المرات التى كان ينهض فيها ليهوى متهافتا فوق الأرض... بالضعف الجسد الآدمى و بالعذاب الروح التى لا تجد من [صفحہ ٤١] يحملها ليحقق ارادتها، فلا هى تتعق لتخلق بعيدا عن ويلات الأرض و لا هى تنهض بهذا الجسد الذى غدا حطاما لا يقدر على شىء. ما أصعب تلك اللحظات. السيف المعلق فوق عمود الخيمة ينتظر صاحبه. للمرة الأخيرة نهض حفيد على، و استند الى عصا و حمل سيفه. بدا له انه يحمل الأرض و من فيها. جرجر نفسه و سيفه الى خارج الخيمة.. كان هدفه أن يلتحق بالحسين بأى ثمن. هتف الحسين باخته و قد وقعت عيناه عليه: - احبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل محمد. و وجد على نفسه مرة أخرى فى الفراش فشعر ان روحه تكاد تخرج و غامت المرثيات أمام عينيه حتى لم يعد يسمع صوتا أو يشعر بشىء. [صفحہ ٤٢]

و سلاحه البكاء (١٣)

الزمان يمر.. يمرق كنهتر تتدافع أمواجه.. لا- يتوقف لأحد فهو يمضى لغايته... الينابيع تدرك سر النهر لهذا فهى تفور... وحدها المستنقعات و البرك الآسنة لا تعرف سر الفوران؛ لهذا يموت الآدميون... ينطوى ذكروهم و تبقى جراح الأنبياء وحدها تفور... تدرك لغز الزمن. كان نهر الزمن يجرى... يتسابق مع الفرات الظامى و هب على على صوت سهيل غاضب يصكك سمع الدنيا... لقد هوى الفارس الذى دوخ القبائل و الفرس تدك الأرض بسنابكها تريد أن توقظ فى الأرض سر الولادة. اهترت الأرض... رجفت بأهلها و مادت... لقد قتل هايبيل.. دماؤه تلون الأرض... الذعر يغزو القلوب الآدمية. سقط رأس يحيى بين يدي «سالومى». هوى «ابن أبى طالب» فى المحراب مضمخا بالدماء. ما يزال غبار المعارك عالقا فى الهواء، و بدا الافق مستعرا بحمرة [صفحہ ٤٣] دامية. ألفى عمته تشق طريقها نحو آخر الأسباط فى التاريخ. صوتها يشق الفضاء: - ليت السماء أطبقت على الأرض... و ليت الجبال تدكدت على السهل. مثل دوامة ما لها من قرار كانت الذئاب تدور حول رجل من ذرية الأنبياء. السيوف المجنونة تتخطف ابن بنت نبي هو أعظم الأنبياء. كان على ينوء بروح مثقلة بهموم كالجبال. الأرض تستعيد لحظات قديمة قدم الجبال فى الجزيرة. كان «صالح النبي» يعظ قومه و قد تمخض الجبل و ولدت الناقة: - يا قوم هذه ناقة الله لكم آية. كانت ناقة مباركة تدر لنا سائغا للشاربين. و تساءل الآدميون: - كيف

تلد الصخور ناقةً بهذا الجمال... بهذا العطاء.. كيف تدر كل هذا اللين؟! لم تؤمن قبائل صالح.. والقلوب المظلمة لا تلد غير الحقد و الضغينة و المؤامرة... قلوب منحوتة من صخور صماء.. و ان من الحجارة لما تتفجر منها الينايع. و هكذا تحول الحقد على «صالح» الى حقد على «الناقة» و طفلها الصغير. [صفحة ٤٤] في تلك الليلة العاصفة و الرياح تهب من ناحية الشمال.. و كانت الناقة تحتضن فصيلها الوديع، و الطفل يزداد التصاقا بامه يلتمس الدفء و المحبة و السلام؛ في تلك الليلة ولدت المؤامرة و جلس «الرهط» يفكرون. كانت كؤوس الخمر تدور فسول لهم الشيطان أمرا. كما تنسج العنكبوت خيوطها نسج المخمورون مؤامرتهم استلوا خناجرهم و انسلوا في غمرة الظلام. كانت الناقة غافية هي و صغيرها.. كانت الظلمة كثيفة الى حد جعلهم يتعثرون و هم يشقون طريقهم الى حيث ترقد الناقة بسلام. كانوا تسعة أشبه ما يكونون بالذئاب.. الذئاب التي تزداد شراسة و غدرا كلما تكاثف الليل. و نشبت خناجر تسعة في قلوبين ينبضان بالدفء و الحب و العطاء؛ و سالت الدماء حمراء حمراء صبغت الأرض و لونت الصعيد. و استيقظت ثمود و قد حل في الأرض خوف رهيب؛ لم تعد هناك معان لمواعظ الأنبياء؛ لقد حلت اللعنة. كان صالح يتمم بحزن و هو يرى غضب السماء قاب قوسين أو أدنى: - تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب. و غادر صالح القبيلة الملعونة.. [صفحة ٤٥] و مضى يوم و أعقبه يوم ثم يوم، ثم انشقت السماء عن صيحة جبارة.. انقضت على قصور منحوتة في قلب الجبل فجعلتها دكا... و ما هي الال لحظات و قد تحول كل شيء الى حطام و أنقاض متراكمة بعضها فوق بعض... لم تكن هناك سوى عيون تبخلق برعب و دناءة تحكى قصة الغدر و الخيانة و دسائس الشيطان. الحسين ما يزال ينوء بنفسه... تتدفق جراحه دماء تلون الأرض و تصبغ الصعيد بلون جديد. [صفحة ٤٦]

و سلاحه البكاء (١٤)

ما أقسى هذا الزمن المرير، و ما أشد هذه اللحظات هولاً، كيف تتحطم الأشياء الجميلة، و تهرب من هذا العالم، ليظهر الشيطان بقريه يعربد و يدمر. ها هو الأبرص يرتقى صدر السبط؛ كغراب اسطوري جاثم. القبائل مأخوذة بما يجري فوق الرمال. كانت أوداج الحسين تشخب دما... تتدفق مثل نافورة أزلية تسقى الأرض تودعها الأسرار. همس الحسين بصوت أضعفته الجراح المتدفقة: - ويلك... لقد ارتقيت مرتقى عظيما.. فمن تكون؟ فتح الجاثم بوزه فبان أنياب ينز منها صديد: - أنا الشمر الضبابي. - أتعرفني يا شمر؟ - أجل... أعرفك.. فأنت الحسين وجدك رسول الله و امك فاطمة. - فلم تقتلني اذن؟ [صفحة ٤٧] - اريد بذلك جائزة يزيد. - و شفاعة جدى محمد؟ ألا ترغب في شفاعة رسول الله؟! - شفاعة محمد... ما قيمتها انها لا تساوى لدى دانقا واحدا. و ساد صمت رهيب.. انه السكون الذى يسبق حدوث الكوارث. تتمم الحسين بحزن: - صدق جدى محمد. - ترى ماذا قال محمد؟ - قال لأبى: يا على يقتل الحسين بأرض تدعى كربلاء يقتله رجل أشبه بالكلاب و الخنازير. - محمد يشبهنى بالكلاب و الخنازير.. لأذبحنك. انفجر الحقد و راح يعربد فى أعماقه ككلاب مسعورة و خنازير. السيف الضبابى يشق طريقه الآثم فى شرايين الحسين يقطع الأوردة و العروق.. ندت آهه عظيمة و انطفأت عينان كانتا تضيئان العالم. الدنيا مظلمة... و الكائنات مذعورة. السماء تهطل دما عيطا... و فرس غاضبة تصهل عاليا تتجه صوب الفرات الظامى فتغوص فى لجة المياه و القرار... و رأس الحسين فوق رمح طويل يدور و يدور و قد زلزلت الأرض زلزالها.. و ارتجفت الكائنات. [صفحة ٤٨] و فى تلك اللحظة بدا كل شيء مقرفا تافها لا معنى له... و تحولت تلك البقعة من الأرض الى مسرح رهيب، تتكاثف فيها مخاوف آدم كلها و قد حاصرته الشياطين من كل مكان؛ ما يزال يبحث عن كهف يأوى اليه؛ و الشياطين تحمل مشاعل من نار و دخان تريد أن تحرق كل شيء. القبائل المجنونة تشب النار فى الخيام.. ألسنة الجحيم تلتهم الأعمدة.. و قلوب صغيرة تفر مذعورة هنا و هناك كطيور هاربة من سفن تائهة غرقت فى الظلام. الخيول المجنونة تعبر جثة الحسين تستبيح كل ما يصادفها، لم يعد هناك شيء مقدس. لقد تحطم كل شيء.. لم يعد هناك شيء ثابت. كل شيء يهتر تحت وقع سنابك الخيل و أقدام القبائل و قرون الشياطين. [صفحة ٤٩]

و سلاحه البكاء (١٥)

كذئاب مسعورة انشبت أنيابها في الخيام، و قد أيقظ الشيطان شهوة الغزو و النهب في النفوس الآدمية. فر الأطفال على وجوههم، و قلوبهم تبحث عن رجل كان يحميهم. الأيدي الصغيرة تتشبث بالهواء، و القبائل تطارد نسوة حاسرات، و المخالب البشرية تنتزع أقرطا و أساور. أنشب ذئب مخالفه في قرط لفاطمه و انتزعه بقسوة. سألت الاذن دما. كان الرجل يبكي.. تسيل دموعه.. يعبر عن ذات منفصمة. عن شرح بين ضميره و ارادته، بين قلب يعرف الحق و أيد ملوثة تريد خنقه. و تعجبت الفتاة المقهورة من دموع التماسيح: - مالك تبكي؟ قال و هو ينتزع القرط الآخر: - كيف لا أبكي و أنا أسلب ابنه محمد. [صفحة ٥٠] - دعني اذن. صاح السامري المبهور بالذهب: - أخاف أن يأخذه غيري. و اقتحمت الذئاب خيمه فيها على. جرد الأبرص سيفا ما يزال مضمخا بدماء الحسين، كلمات الأرقط ما تزال تدوى في أعماقه: - لا تدعوا منهم صغيرا و لا كبيرا. انبرت زينب بشجاعه والدها العظيم: - لا يقتل حتى اقتل دونه. هتف ذئب لم يرتطم بقعر الحضيض بعد: - انما هو صبي مريض. بدا ذو حسم « كناسك حزين أو شيخ أحنث هامته السنون فهو ينظر ساهما الى ما يجري حوله. الفضاء يمتلأ دخانا و ألسنة النار كرؤوس الشياطين تلتهم خياما تعصف بها الريح من كل مكان. و الذئاب تعوى مأخوذة بشهوة النهب. مثل دوامة مالها من قرار، كانت القبائل تدور حول نسوة و أطفال؛ قلوب صغيرة خائفة كحمام بريه وسط ريح شتائية عاتية و دموع كالكلى انفرطت عن نظمها، تسح من عيون تجمعت فيها غيوم حزينه. يوم للدماء و يوم للدموع حتى تطهر الأرض و يغتسل الانسان. [صفحة ٥١] لتدفق الدموع أنهارا تغسل كل الأدران الآدمية، لتتفجر ينابيع الحزن، ليندم قايل مدى الحياة.. ليختبي في الكهوف و المغارات و ليوارى سواته ليظهر يديه من دماء أخيه هاييل. ما يزال هاييل المضمخ بأولى الدماء البشرية يطارده في كل مكان. كمرأة اكتشفت هول جريمتها توا بدت الكوفة في تلك الظهيرة الملتهبة.. نساء و أطفال و نياق و جمال هو كل ما غنمته القبائل من عارها الأبدى. كان منظر على فوق بعير ضالع و قد غلت يدها الى عنقه و الدماء تشخب من أوداجه يجسد وحشية القبائل المفتونة بالصدر. يا لهذا الأسير الحر انه ينظر الى ما وراء الأيام؛ نظراته تهيمن على الحشود البشرية المتراسة تريد أن تصغى الى كلمات الانسان عندما يقهر هل يخضع أم يثور. ولكن عليا انتهج طريقا آخر للمقاومة و الصبر. سكنت الأنفاس و هدأت الأجراس، و هيمن صمت مهيب فانسابت كلمات كنبع سماوى: - أيها الناس: من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على، أنا ابن من انتهكت حرمة، و سلبت نعمته و انتهب ماله، و سبى عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل و لا ترات، أنا ابن من قتل صبورا و كفى بذلك فخرا. أيها الناس ناشدتمكم [صفحة ٥٢] الله هل تعلمون انكم كتبتم الى أبى و خدعتموه و اعطيتموه من أنفسكم العهود و الميثاق و البيعة؟ كان الصمت ما يزال مهيمنا يضح: نعم.. نعم. و أدرك على ضجيج الصمت المثقل بالندم: - فتبا لكم لما قدمتم لأنفسكم، و سوءة لرأيكم، بأية عين تنظرون الى رسول الله اذ يقول لكم: قتلتم عترتى و انتهكتم حرمتى فلستم من امتى. مثلما ينفجر البركان.. مثلما تنهار قشرة الأرض عن كظم الحزم الفائرة، انفجر الحشد المشدوه بالبكاء.. البكاء الذى يحكى قصة التيه و الضياع و اليأس. و انفتحت كوة من أمل: - رحم الله امرءا قبل نصيحتى و حفظ وصيتى فى الله و فى رسوله و أهل بيته، فان لنا فى رسول الله اسوة حسنة. هتفت الحشود البشرية المتراسة، و تدفقت الكلمات كأجساد تتراكم نحو باب الخلاص. - نحن يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لدمامك غير زاهدين فيك، و لا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فانا حرب لحربك، و سلم لسلمك، نبرأ ممن ظلمك و ظلمنا. ما تزال الكوفة هى هى لم تتغير بعد. الكلمات المعسولة و الوعود الفارغة، التى تعبر عن ضمير مذعور و ارادة ميتة. [صفحة ٥٣] التاريخ لا تصنعه الكلمات الجوفاء و الوعود الطنانة.. تصنعه الارادة الفولاذية و القلوب التى لا تعرف غير الحق.. هتف على بصوت مبسوح من الحزن: - هيهات.. هيهات.. أيها الغدرة المكره.. حيل بينكم و بين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا الى كما أتيتم الى أبى من قبل؟ كلا و رب الراقصات، فان الجرح لما يندمل، قتل أبى بالأمس و أهل بيته و لم ينس ثكل رسول الله و ثكل أبى و بنى أبى، ان وجدته والله ليين لهاتى، و مرارته بين حناجرى و حلقي، و غصته تجرى فى فراش صدرى.]

و سلاحه البكاء (١٦)

مضى التاريخ يشعل الحوادث هنا و هناك، و رأس الحسين على رمح طويل يطوف المدن يتحدث بلغة الصمت. جلس الأرقط و كان رجلا لا يعرف جده... ألقى بجسمه فوق سرير مذهب و خيل اليه انه يحكم العالم بأسره.. بين يديه رأس مقطوع، فى طست من ذهب. ردد الأرقط فى نفسه: - لقد سكت الحسين سكت الى الأبد.. و ها أنا أحكم العراقيين. و أردف بنفاق لكى يسمعه الآخرون: - انها ارادة الله.. لأن كل شىء يمضى بمشيئة الله.. و قد قتل الله الحسين. كان الصمت ما يزال مهيمنا على المكان. التفت الأرقط الى فتى مكبل بالسلاسل: - ما اسمك؟ - على بن الحسين. [صفحه ٥٥] - ألم يقتل الله عليا؟ - فح كأفعى: - مالك لا تتكلم؟ - كان لى أخ أكبر منى يدعى عليا و قد قتله الناس. شعر الأرقط بحدّة الصفعة فصرخ بغيط: - بل قتله الله. - الله يتوفى الأنفس حين موتها و ما كان لنفس أن تموت الا باذن الله. اتسعت عيناه كحبة رقطاء و أشار الى الجلاد. اعترضت زينب بغضب: - حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت. و هل أبقيت أحدا الا هذا؟ فان أردت قتله فاقتلنى معه. سدد الفتى نظرة احتقار: - أما علمت ان القتل لنا عادة و كرامتنا من الله الشهادة. نهض الأرقط و غادر المكان و لوح بسوطه فى الهواء و هتف بغرور: - الى السجن. تراكض الجلاوزة، كانت حركاتهم المرتبكة تنبئ عن ذعر و ذلة لنفوس انطفاة فيها جذوة الرجولة. [صفحه ٥٦] حشرت النسوة فى دار الى جانب المسجد الأعظم حولها الأرقط الى سجن، و اقتيد على بسلاسله الى الطامورة. فتح شرطى تبدو عليه الفظاظه بابا يفضى الى دهليز صخرى تحت الأرض و مضى الحراس يشقون طريقا ملتويا ضيقا تنفرع عنه ممرات. توقفوا عند زنزانه تشبه القبر، أمسك أحدهم بالأسير و حشره بقسوة؛ ثم عادوا أدراجهم، و شيئا فشيئا غاب ضوء المشاعل و خفت أصداء الخطى و غمر الظلام المكان و لم يعد يسمع سوى صدى أنفاسه. كئيب يتدفق باردا شعر السجين بالسكينة تترقق فى قلبه و تجرى فى جوانح صدره؛ لا شىء سوى الله.. الله وحده الحقيقة المطلقة و ما عداه أوهام و خيال. و كل من ينتمى الى الله ستكون من نصيبه الحقيقة. مثل بوصله فى سفينة مبحره وسط الظلمات كان قلبه يتجه الى الله.. الى الحبيب يهتف باسمه العظيم قائلا: - سبحانك اللهم و حنانيك.. سبحانك اللهم و تعاليت.. سبحانك اللهم و العزازارك.. سبحانك اللهم و العظمة رداؤك.. سبحانك اللهم و الكبرياء سلطانك.. [صفحه ٥٧] سبحانك من عظيم ما أعلمك! سبحانك سبحت فى الأعلى.. تسمع و ترى ما تحت الثرى. سبحانك أنت شاهد كل نجوى.. سبحانك موضع كل شكوى.. سبحانك حاضر كل ملأ. سبحانك عظيم الرجاء. سبحانك ترى ما فى قعر الماء. سبحانك تسمع أنفاس الحيتان فى قعور البحار. سبحانك تعلم وزن الأرضين. سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر.. سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور.. سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء.. سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة.. سبحانك قدوس قدوس.. سبحانك عجا من عرفك كيف لا يخافك.. سبحانك اللهم و بحمدك... سبحان الله العلى العظيم. ما أقوى الروح عندما تحلق فى سمانها.. و ما أشد صفاءها و هى تنسل من بين قضبان الجسد.. انها تنتمى الى عالم آخر.. عالم لا يمت الى عناصر التراب بشىء. [صفحه ٥٨]

و سلاحه البكاء (١٧)

ما أكثر الزنانات فى تلك «الطامورة» زنانات تشبه كهوفا مهجورة.. أو قبورا استيقظ ساكنوها بعد رقاد طويل. كانوا ثلاثة.. تفصلهم عن وجه الأرض أشبار.. قال المختار لصاحبيه و قد امتزج صوته برنين السلاسل: - استعدا للموت.. أشعر بأن يومنا قد دنا. همس عبدالله بن الحارث: أجل ان هذا الطاغية لن يتهيب من قتل الناس جميعا و كيف يهاب أحدا و قد قتل الحسين؟! تمتم المختار بأسى: - الحسين... أىمكن أن يحدث هذا.. أمر فوق التصور.. كيف يجرؤ انسان على ارتكاب جريمة كهذه؟! قال ميثم و قد كان معتصما بالصمت: - و لم لا.. ألم يقتل قاييل هايبيل؟ ألم يحاول فرعون البطش بموسى.. و عيسى عندما أرادوا أن يصلبوه فرغه الله اليه.. و

على.. [صفحة ٥٩] أنسيتم دمه المراق في المحراب.. كلما اتذكر عليا.. هذا الرجل العظيم.. أزداد احساسا بالحقائق.. و يشتد ايماني بأن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة ما لم يحق الانسان حقا أو يبطل باطلا.. و أردف و كأنه يخترق الجدار الصخري بنظراته: - أبشرا بالنصر. همس ابن الحارث بدهشة: - عن أي نصر تتحدث يا ميثم؟ أفي مثل هذه القيود؟! هز المختار رأسه أسفا: - لقد انتصرنا يوما ما... أما الآن فقد انتهينا و انتهى كل شيء. أجاب صديق علي و قد تمثلت أمامه نبوءات سمعها ذات يوم: - كلا يا مختار.. نحن لم ننته و لن ننتهى.. لأننا مع الحق و الحق باق أبدا الدهر. و أردف كأنه ينظر الى صفحات المستقبل: - ستخرج يا مختار من السجن و ستنتقم لدماء الحسين و تقتل هذا الذي يريد قتلنا و تطأ بقدميك وجهه. و سادت صمت مهيب لكلمات قالها علي و هو يستشرق آفاق الزمن القادم. مضت لحظات كأنها قرون عندما دوت خطي ثقيلة كانت تقترب شيئا فشيئا و يزداد صداها و هي ترتطم بجدران الصخر حتى [صفحة ٦٠] باتت كأنها تغرق العالم. أدار الحارس الفظ المفتاح في قفل فانفتح طرف السلسلة و بدا وجهه القاسي في ضوء المشعل كشيطان. شق الحارس طريقه و انتزع سجيننا محكوما بالموت بغلظة. هتف المختار و هو يعني ما يقول: - الى أين يا ميثم؟ - أجاب ميثم بهدوء: - الى جذع نخلة ينتظرنى منذ عشرين سنة. و أدرك المختار و صاحبه - ان الرجل مصلوب. و فى قصر بنى علي الظلم.. قال «الأرقط» و هو يصعد النظر بالسجين بازدياد: - أهذا الأعجمى يكون صديقا لعلى. أجاب أحدهم: أجل.. و لقد كان تمارا يبيع التمر فى السوق. سأل الأرقط باستخفاف: - أين ربك؟ أجاب السجين: - انه بالمرصاد. - هل أخبرك أبو تراب عن مصيرك؟ [صفحة ٦١] - انى لأعرف النخلة التى سأصلب عليها.. - لأكذبه. - أتكذب وصى محمد؟! صرخ الأرقط بعصية: - أعيدوه الى السجن: و استدرك و هو يلوح بسوطه: - بل اصلبوه و الحقوه بأصحاب أبى تراب. ابتسم السجين و هو يتطلع الى رجل سيسقط رأسه الفارغ عند أقدام الثائرين. [صفحة ٦٢]

و سلاحه البكاء (١٨)

الطريق بين الكوفة و دمشق مترع بحزن مرير لمن يعرف الصراع بين المدينتين. لاح الفرات من بعيد حية ترقد وسط الصحراء، و قد نهضت على جانبيها النخيل كرماح مركوزة. أشار الدليل الى بقعة قرب منعطف الفرات و هتف ربما لينبش ذكريات قديمة. - ها هو صفين. بدا السهل المنبسط الممتد على مدى الشيطان مقفرا تماما. لقد اختاره القدر ذات مرة ليكون ميدانا للصراع و مسرحا للاختيار بين علي و معاوية.. بين الروح و الغريزة.. غير ان النفوس التى أخذت الى الأرض اختارت معاوية، و ظل علي وحيدا مضمخا بالدماء و هو يصلى لله فى المحراب. كان الأبرص ينظر برعب الى صفين. ارتجف شاربه الكث.. شعر بأن يزيد يتطلع اليه بغیظ و حقد؛ لأنه كان جنديا يوما ما فى جيش [صفحة ٦٣] على. تمت فى نفسه: - لقد مضت عشرين سنة.. و هى كافية لتمسح الماضى البعيد و ها أنا أحمل رأس ابن علي هدية الى ابن معاوية. بدا رأس الحسين فى ذروة الرمح يتطلع الى الأفق البعيد كأنه ينظر الى آخر الدنيا. أشار الدليل للاستراحة فى مكان على الشاطئ.. ليكون محطة لاستراحة الخيول.. و الأسرى.. جحظت عين الأبرص حقدا و نهر الدليل بفضاظة - ألم تجد مكانا غير هذا؟! - أنه مكان كثيف الظلال... و مياه النهر سهلة الورود و الخيل سريعة التعب. صعد الأبرص نظره فى الدليل: - لعلك أشفقت على الأسرى؟ أجاب الدليل و هو يتطلع الى الفتى المغلول: - لقد حيرنى صمته.. انظر اليه، الى سكينته، الى بريق عينيه. - كفى هراء... أنت لا تكف عن الثرثرة.. مشى الدليل الى الفتى المكبل بالسلاسل. صرخ الأبرص و قد أدرك ما يرمى اليه: - ماذا تفعل أيها الأحمق؟ - أفك عنه الأغلال ليسترىح قليلا. [صفحة ٦٤] - اذن ألهب ظهره بالسياط. هرعت الخيول الى الشاطئ لترتاد المياه المتدفقة. و بركت النوق فى الظلال. كان الدليل يفكر بطريقة لمساعدة الفتى و هو يسير باتجاه الشاطئ. توقف على عند جذع نخلة و راح يتأمل الأمواج المتدافعة و هى تتألق فى ضوء النهار.. تمثلت امامه مشاهد من يوم طويل.. يوم شهد الفرات الزاخر بالمياه ملحمة الظمأ.. و دوت فى اذنيه أصداء الأطفال و هم يهتفون: العطش.. العطش. جلس الفتى عند حافة النهر و لا مست المياه قدميه الملتهبتين... تطلع الى نقطة فى سماء بعيدة الغور.. و تمتم بكلمات. تساقطت السلاسل من يديه و غاص أحد طرفيها فى

الماء.. تسمر الدليل في مكانه، و سقط فكه الأسفل دهشاً.. و ظل مبهوتا و هو يتطلع بعينين مفتوحتين انبهارا الى المياها و هي تنثال من بين كفيه.. أتم الفتى وضوءه ثم أخذ غرفة ليشرب. أدناها من فمه. و لما هم بالشرب توقف كل شىء... لكأن شيئا عظيما حال بينه و بين أن يروى كبدا حرى.. طوح الفتى بقبضة الماء... ثم أدخل يديه فى القيود فعاد مغلولا. هتف الدليل مأخوذا بما يرى: [صفحة ٦٥] - ألسن ظامنا يا سيدى؟ أجل. - فلم لا تشرب اذن؟ - تذكرت ظمأ الحسين... و عطش أطفال صغار... و.. تساقطت الدموع من عينيه فولى وجهه شطر نخلة ميساء؛ و انبثق عند جذعها شلال من الصلاة. [صفحة ٦٦]

و سلاحه البكاء (١٩)

بدت دمشق ذلك الصباح عجوزا تتصابى لم تترك من دهون الزينة لونا الا طلت وجهها به. تجمهر الدمشقيون عند باب «الساعات». ثلاث مرات أخرجت الحية النحاسية رأسها المثلث اسقطت ثلاث حصاة فى الاناء النحاسى، و كان غراب من نحاس يشير الى الوقت دون اكرات. و أطلت القافلة أخيرا. كان رأس آخر الاسباط فى ذروة رمح طويل يتقدم أعجب موكب فى التاريخ. تطلع رجل عجوز الى فتى القافلة الوحيد و هتف ببلاهة المخدوعين: - الحمد لله الذى أهلككم و أمكن أمير المؤمنين منكم. نظر الفتى اليه و خاطبه باشفاق: - أقرأت القرآن يا شيخ؟ - أجاب العجوز مأخوذا: [صفحة ٦٧] - أجل. - أوجدت فيه هذه الآية «قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى»؟ - نعم.. ماذا تعنى؟ - نحن القربى يا شيخ.. فهل قرأ «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»؟ - نعم قرأتها. - نحن أهل البيت يا شيخ. هتف الشيخ مأخوذا. - بالله عليك أنتم هم؟! - نعم و حق جدنا رسول الله انا لنحن هم. شعر العجوز بالأرض تدور به.. تهترت تحت قدميه. مرت لحظات رهيبه كانت كافية لأن تجتمع فى أعماقه آلاف الغيوم الممطرة فانفجرت الدموع من عينيه الكليلتين: - أبرأ الى الله ممن قتلكم. و ما أسرع أن تخطفته الكلاب المسعورة. و تساءلت امرأة دمشقية: - من أى السبايا أنتم؟ تمتمت ابنة للحسين و كان اسمها سكينه: - نحن سبايا آل محمد. [صفحة ٦٨] و أردفت و هى تتطلع الى رؤوس فى ذرى الرماح: - هذا رأس أبى و عمومى و رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. انعقد لسان المرأة دهشاً.. و بدا لها ما تسمعه الغاز و طلاس. كمن يبحث عن ظله فى يوم غائم كان «سهل» يحث خطاه الى «باب الساعات». تساءل فى نفسه و هو يقلب بصره فى مظاهر الزينة التى بدت مفتعلة بعض الشئ: - أكون لأهل الشام عيد لا نعرفه؟ و سأل شيخا مرق من أمامه: - هل الناس فى عيد يا شيخ؟ تلفت العجوز و قال بصوت هامس: - لعلك غريب؟ - أنا سهل بن سعد الساعدى ممن رأى الرسول و سمع حديثه. دمعت عينا الشيخ و قال بحزن: - ماذا تقول يا صاحب رسول الله؟ الساعة سيأتون برأس الحسين و رؤوس القتلى من أهل بيته. شعر «سهل» بدوى الانهيارات فى أعماقه... صرخة تدوى فى صدره: يا محمد.. يا رسول الله... بدا سهل مذهولا و هو يتطلع الى موكب لم يخطر فى باله أن يراه يوما ما. كان رأس الحسين يتقدم القافلة على رمح طويل. [صفحة ٦٩] كما تستيقظ الحمام فى الفجر هبت الذكريات القديمة ملونة جميلة. كان محمد يحتضن حفيده يشبعه قبلا، و الحسين بسنيه الخمس يداعب سوائف جده العظيم و أصابعه الصغيرة تغوص فى شعره المتموج تموج الصحارى؛ و انبعثت كلمات تتألق مثل ندى الصباح: حسين منى و أنا من حسين. وجد سهل نفسه يهتف مبهورا كأنه قطع الصحرا: - يا حسين! وضاع صوته بين دوى الطبول و زعقات الأبواق تملأ فضاء المدينة. [صفحة ٧٠]

و سلاحه البكاء (٢٠)

الطريق الى قصر الخضراء تحفه بيارق ملونة حمراء و صفراء و قد اصطف مسلحون على جانبي الطريق... و الموكب العجيب يمضى قدما الى قصر أسس بنيانه على الظلم. و فى بوابة القصر توقفت القافلة و جئى بالحبال فريق بها آل الرسول، وضعوا طرفا منها فى رقبة فتى فى العشرين ثم فى رقبة زينب بنت على ثم فى باقى بنات محمد، و كلما تعثر الأسرى فى طريقهم انهالت عليهم السياط من كل جانب. كان يزيد جالسا ينظر باستعلاء، و نشوة الانتصار تطل من عينيه. هيمن صمت رهيب لم يعهده القصر من قبل... صمت الأسرى

ملاً فضاء القصر بأشياء يحسها المرء في أعماقه. عدل يزيد من جلسته. كان ينتظر كلمات الاستعطاف أو كلمات تذكّر بالنصر. أراد الخليفة الجديد أن يجعل من نصره حقيقة فخاطب فتى [صفحة ٧١] القافلة الوحيد: - كيف رأيت صنع الله بأبيك الحسين؟ و جاء الجواب صاعقا: - رأيت ما قضاه الله قبل أن يخلق السموات والأرض. أدرك يزيد ان هذا الفتى فرع من تلك الزيتون؛ فهمس في آذان مشاوريه. كانت العيون حمراء بلون الدماء تحمل نذر الموت و يطل منها حقد قديم. - اقتله يا أمير المؤمنين... انه يضم قلب أبيه في جوانح صدره. فهتف الفتى بصلافة الأنبياء: - يا يزيد لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم في موسى و هارون فانهم قالوا له: أرجه و أخاه... و أردف غير مكترث بالموت الذي يحدق به من كل مكان: - و لا يقتل الأعداء أبناء الأنبياء. و عاد يزيد مرة اخرى يتحدث كخليفة فقال بنفاق: - ما أصابكم ن مصيبة فيما كسبت أيديكم. أجاب الذي عنده علم الكتاب: - ما هذه نزلت فينا؛ انما نزل فينا: ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على [صفحة ٧٢] الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم. فنحن لا نأسى على ما فاتنا و لا نفرح بما آتانا. انتفض يزيد كالمندوغ و قد سقط عنه وقار مصطع: - مهلا بنى عمنا مهلا موالينا لا تبشوا بيننا ما كان مدفونا. صر على أسنانه بحقد و لعن في نفسه ابن زياد ذلك الأحمق لأنه نسي أن يخمد صوت الحسين. أشار يزيد الى رجل باع دينه بدنيا غيره. نهض واعظ السلطان ورقى منبرا مسروقا، و راحت الكلمات المسمومة الملوثة بالصديد تتدفق من فمه يحاول يطفى الشمس و القمر و النجوم و يجعل من النفائات حدائق بنفسج، ولكن أين الثرى من الثريا و أين معاوية من على. هتف الفتى كبركان غاضب: - لقد اشترت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار. و التفت الى يزيد: - تأذن لى أن أرقى هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه الله تعالى رضا و لهؤلاء أجر و ثواب. شعر يزيد بالخوف يحاصر قلبه و هتف مذعورا: - كلا.. كلا. قال «معاوية» و كان فتى لم يبلغ العشرين بعد و فى عينيه بريق [صفحة ٧٣] اكتشاف: - ائذن له يا أبى.. و ما قدر أن يأتى به. همس يزيد محذرا: - ان هؤلاء ورثوا العلم و الفصاحة و زقوا العلم زقا... و لا- ينزل من المنبر الا- بفضيحة آل أبى سفيان. و علت صيحات من الحضور و قد بهرتهم شخصية الفتى: - ائذن له يا أمير المؤمنين. سكت يزيد مستسلما... ورقى الأسير المنبر... يتفجر من فوقه نبع من الفصاحة و البلاغة و الحكمة و انسابت الكلمات كنه هادئ تتدافع أمواجه متألقه فى ضوء النهار: - الحمد لله الذى لا بداية له، و الدائم الذى لا نفاذ له، و الأول الذى لا أول له، و الآخر الذى لا آخريه له، و الباقي بعد فناء الخلق، قدر الليالى و الأيام، و قسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلام. أيها الناس أعطينا ستا و فضلنا بسبع أعطينا: العلم و الحلم و السماحة و الفصاحة و الشجاعة و المحبة فى قلوب المؤمنين، و فضلنا: بأن منا النبى و الصديق و الطيار، و أسد الله و أسد رسوله و سبطا هذه الامة. أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى أنباته بحسبى و نسبى.. انا ابن مكة و منى، انا ابن زمزم و الصفا. انا ابن من حمل الركن بأطراف الردا. [صفحة ٧٤] انا ابن خير من ائتر و ارتدى و خير من طاف و سعى، و حج و لبي انا ابن من حمل على البراق و بلغ به جبريل سدره المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى، انا ابن من صلى بملائكة السماء، انا ابن من أوصى اليه الجليل ما أوصى، انا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بيد و حنين، و لم يكفر بالله طرفه عين، انا ابن صالح المؤمنين و وارث النبيين و يعسوب المسلمين و نور المجاهدين و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين و مفرق الأحزاب، أربطهم جأشا و امضاهم عزيمة.. ذاك أبو السبطين الحسن و الحسين على بن أبى طالب.. انا ابن فاطمة الزهراء و سيدة النساء. انا ابن خديجة الكبرى.. من يوقف هذا النبع المتدفق؟ من يخمد هذا البركان المتفجر حمما؟ من يكفن هذه الشمس بأكوام الغيوم؟ و عندما تبكى الغيوم و تسح دموعها الثقال، فانها تدوب لتسطع الشمس.. شمس الحقيقة... و هكذا أراد ذلك الأسير العظيم. كلماته ما تزال تدوى: - انا ابن المرملة بالدماء، - انا ابن ذبيح كربلاء، - انا ابن من بكى عليه الجن فى الظلماء، و ناحت الطير فى الهواء. كان عرش يزيد يهتر بشدة و قصره يمد... صرخ الخليفة بعصية أذنوا للصلاة. [صفحة ٧٥] حيلة تعلمها من عمرو بن العاص يوم رفعت المصاحف فى صفين تغاديا للعاصفة. هتف المؤذن: - الله أكبر. عقب الفتى بخشوع المؤمنين: - الله أكبر و أجل و أعلى و أكرم مما أخاف و أحذر. و انسب الاذان: - اشهد أن لا اله الا الله. تتمم الأسير: - نعم أشهد مع كل شاهد ان لا اله غيره و لا رب

سواه. - أشهد ان محمدا رسول الله. التفت ابن محمد مخاطبا يزيد: - هذا الرسول العزيز الكريم جدك أم جدى؟ فان قلت جدك علم الحاضرون و الناس كلهم انك كاذب و ان قلت جدى فلم قتلتم أبى ظلما و عدوانا و انتهت ماله و سببت نساءه فويل لك يوم القيامة اذا كان جدى خصمك. صرخ يزيد بالمؤذن: - أقم للصلاة. و سرت همهمة و طفحت الأسئلة على الوجوه، كما تظهر الفقاعات فوق سطح ماء أصابه مس من الغليان. [صفحه ٧٦]

و سلاحه البكاء (٢١)

غيوم الخريف تعبر سماء دمشق... تبعثرها الرياح كسفن تائهة؛ و أضحت السماء ميدانا لخيول مجنونة، أو لوحه تراكم فيها أكوام الغيوم كما تشاء الريح تشكلت بحيرات زرقاء و تلال و خلجان لا حصر لها، و بدت غيمة بيضاء على شكل حصان ترتاد الشواطئ القطبية، غير أن الريح سرعان ما دفعتها لتذوب في أكوام الرماد، اختفت البحيرات و تراكت جبال السحب الداكنة بعضها فوق بعض اندثرت الشواطئ الناصعة تحت أكوام الرماد و الرياح الخريفية تبشر بشتاء قارس و صقيع. كان «المنهال» يراقب من بعيد خربة تشبه سجننا قديما أنزل فيها الأسرى. جلس يصغى الى أول مناحه لعاشوراء في دمشق... كان اسم الحسين يرتفع يتألق في الفضاء... يتناغم مع نداء الأذان يعانق اسم جده العظيم محمد. - هو ذا. [صفحه ٧٧] هتف المنهال و قد لاح من بعيد فتى القافلة الوحيد... وجهه المضيئ كقمر حزين... كأنه يحمل على كتفيه هموم الدنيا و أحزان العالم كله. هرع اليه لعله يخفف من أحزانه شيئا: - كيف أمست يا ابن رسول الله؟ تجمعت الدموع في عينيه كغيوم مشحونة بالمطر: - أمسينا كمثل بنى اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم. سكت هنيهة و أردف: - أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منها، و أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، و أمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشردين... فانا لله و انا اليه راجعون. و قال الرجل و هو يحاوره: - أخشى عليك كثرة البكاء. أجاب الفتى و هو يخرق السحب بنظرات متألمة: - انما أشكو بثى و حزنى الى الله و أعلم من الله ما لا تعلمون... ان يعقوب كان نبيا فغيب الله عنه واحدا من أولاده و عنده اثنا عشر و هو يعلم انه حى فبكى عليه حتى أبيضت عيناه من الحزن... و انى نظرت الى أبى و اخوتى و عمومتى و صحبى مقتولين حولى فكيف ينقضى حزنى... كلما نظرت الى عماتى و أخواتى تذكرت فرارهن من [صفحه ٧٨] خيمة الى خيمة. اشتعل المشهد العاشورائى بكل تفاصيله... ياله من يوم عصيب.. النار المجنونة تلتهم كل شىء الخيام تحترق و الأعمدة تتهاوى خطبا... و قد فر الأطفال.. قلوبهم تدق مثل حمام مذعورة. و نسوة و فتيات يلذن من خيمة الى خيمة اخرى و النار تفتح أفواها شيطانية تريد ابتلاع كل الأشياء الخضراء. فجأة ظهرت امرأة تتجه نحو الستين بخطى واسعة. نادى بصوت بح من البكاء: - الى أين يا نعم الخلف؟ أسرع الفتى اليها. أدرك المنهال انها زينب... زينب التى وقفت بوجه العاصفة. هل يكون عاشوراء خلاصة لكل تاريخ النبوات فى الأرض بكل الجراح، بحجم الصبر، بوفرة الدماء.. و تألق حبات الدموع. [صفحه ٧٩]

و سلاحه البكاء (٢٢)

- الى كربلاء. همس الفتى فى اذن الدليل، و قد انفصلت القافلة عن ديار الشام فى رحلة العودة الى أرض الحجاز. منذ ذلك التاريخ ستصبح تلك البقعة على شطآن الفرات مقصدا للقوافل الجديدة و محطة لقوافل اخرى. كان على الدليل أن يسلك طريقا آخر غير طريق التجار و بعيدا أيضا عن طريق البريد، حيث تمرق الخيول سريعة تحمل الأنباء الهامة. و انسابت القافلة مثل ظفيرة من حرير فى بطون الأودية متجهة صوب «عين الورد» أولى محطات الطريق الجديد. بركت النوق فى «عين الورد» ثم فى «قرميسيا» و بعدها «الأنبار» ثم يمت و وجهها شطر بقعة على ضفاف الفرات... بقعة ستشهد ميلاد مدينة ما تزال فى مخاض الزمن. آن «للرأس» أن يعود بعد رحلة دامت أربعين يوما. [صفحه ٨٠] آن للرأس الذى طاف المدن فوق ذرى الرماح أن يعود بعد أن رتل القرآن ترتيلا. عاد رأس السبط بعد أن أيقظ الانسان فى النفوس الأدمية.. و فى الأرض البذور. كان الشفق داميا كجراح الأنبياء عندما وصلت القافلة

كربلاء. آثار الخيول ما تزال محفورة في الأرض و التاريخ و في ذاكرة الانسان... سهام مغروسة في الرمال... سيوف مهشمة و بقايا رماد. قفزت الحوادث الرهيبة الى الذاكرة... تجسدت في العيون... و تردد صداها في القلوب. هرولت «الرباب» الى كومة رمل صغيرة. ضمت رضيعها الشهيد. احتضنت الرمال الناعمة.. هتفت بقلب كسير: - هلم الى يا صغيري. و تساقطت قطرات من دمع و من لبن رسمت في الثرى نقاطا ندية صغيرة. كان الرضيع غافيا في أحضان الأرض التي لونها بدمه الرائق. و عندما هومت عيناها، رأت نافورة ماء تنبجس من نحر الشهيد.. كان الأطفال يدورون بين القبور كحمام بريء تبحث عن أعشاشها. من بعيد لاح «جابر».. رجل آزر النبي و نصره و جاء اليوم يجدد. [صفحة ٨١] العهد مع سبطه. شم جابر رائحة النبي فهوى يقبل قبر الحسين: - يا حسين... يا حسين... أشهد انك قد مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا. هتف الفتى و قد تجمعت في عينه الدموع: - يا جابر هاهنا والله قتلت رجالنا... و ذبحت أطفالنا و سبيت نساؤنا و حرقت خيامنا. نهض جابر ينوء بحمل السنين.. أجال بصره الواهن في القبور و هتف كأنه يخاطب التاريخ و الانسان: - السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين و أناخت برحله... أشهد أنكم أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة و أمرتم بالمعروف و نهيتم عن المنكر، و جاهدتم الملحدين، و عبدتم الله حتى أتاكم اليقين.. و الذي بعث محمدا بالحق نبيا، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه. قال رجل و قد اتسعت عيناه دهشة: - كيف و لم نهبط واديا و لم نعل جبلا و لم نضرب بسيف؟! و تدفقت كلمات قالها محمد ذات يوم: - سمعت حبيبي رسول الله يقول: من أحب قوما كان معهم و من أحب عمل قوم أشرك في عملهم... و الذي بعث محمدا بالحق نبيا ان نيتي و نية أصحابي على ما مضى عليه الحسين و أصحابه. كانت الشمس على وشك المغيب و قد بدت حمراء حمراء كعين [صفحة ٨٢] تسح دموعا ثقالا. مسح جابر وجها كان قد تعفر بتراب الحسين.. تمت بحديث لحيبه كان قد سمعه قبل أكثر من خمسين سنة، كان النبي يداعب صبيا في ربيع الخامس و يقول: حسين مني و أنا من حسين. هتف جابر وسط الصمت و كان الفرات يجري تتدافع أمواجه: - أشهد اني قد سمعت ذلك من حبيبي محمد. غابت الشمس خلف الرمال الممتدة، و نشر المساء ستائره الرمادية فوق الأرض، و انبرى رجال يدقون أوتاد خيام صغيرة... فزينب تريد البقاء الى جانب أخيها الحسين. [صفحة ٨٣]

و سلاحه البكاء (٢٣)

غادر يزيد قصر الخضراء تحوطه كلاب الصيد التي ملأت الفضاء نباحا. ملأ رئيته من نسيمات الصباح الباردة كما لو يريد اطفاء حرقه الخمر التي ما تزال تشتعل في أعماقه، ألقى نظرة استعلاء من فوق حصانه الأسود على مرافقيه و أدار بصره فيهم متصفحا وجوههم. و في تلك اللحظة مر قطع هائل من الخيول العربية الأصيلة.. راح يتابع القطيع الممتد في الافق و هو يتجه صوب بلاد الرومان؛ فيما وقف سفير القيصر يشرف على نقل الأتاوة السنوية المفروضة على المسلمين الى بلاده. هز يزيد كتفيه دون اكرات و ألهب ظهر حصانه بالسياط فانطلق موكب الصيد تحفه الكلاب من كل صوب. أمعن يزيد هذه المرة في البادية مقتربا من تخوم العراق حيث تكثر الغزلان. هذه أول رحلة للصيد يقوم بها في خلافته فلتكن لها ابهة الملك [صفحة ٨٤] و فخامة السلطان العريض، و قد آن له أن يحتفل بنصره الأول. دب المساء كحشرة متلصصة و قد انتهى رجاله من دق أوتاد الخيام. كان يزيد يداعب قرده «قيس». قرصه من مكان حساس فنز القرد مذعورا، فأطلق يزيد ضحكة ماجنة أودعها شعورا مفرطا بأهميته. ألقى بنفسه بين الطنافس الحريرية و راح ينظر الى آنية الخمر المختلفة الألوان و الأشكال. أمسك بعنق ابريق ذهبي صغير و أفرغ ما فيه في جوفه.. شعر بدبيب النمل يتخلل عروق جسده و يداعب رأسه.. احمرت عيناها.. أطلق ضحكة شيطانية جعلت «قيس» ينظر اليه بخوف. نشر الليل ستائره الكحلية و بدت صفحة السماء تزخر بالنجوم كمصابيح فضية أو لآلئ متناثرة في بحر شديد الظلمات. أخذ الحراس مواقعهم يحرسون خيمة فيها قرده و خنازير؛ كؤوس الخمر تدور و تدور. و بين الفينة و الاخرى يعلو صوت قرد أو ضحكة ماجنة، و الليل ظلمات يتراكم بعضها فوق بعض؛ و النجوم تشتد سطوعا تبشر بفجر قريب. كل شىء يمضى على سنة الناموس الا ما يفعله ابن آدم منذ سولت لقابيل نفسه قتل

أخيه. [صفحة ٨٥] استيقظ يزيد بل هب مدعورا. منذ أيام و الكوايس تلاحقه... فتح عينيه الداميتين و غادر الخيمة مترنحا. كانت الشمس على وشك أن تشرق بحمرتها القانية، فالشفق مضمخ بلون يشبه الدماء. هتف أحدهم و قد رأى صاحبه يريد إعادة صلاته. - ماذا تفعل؟! - لقد نسيت لعن أبي تراب في القنوت. - أوه.. انها لا تقبل منك. قهقهه يزيد و هو يتبذد مكانا قريبا لقضاء حاجته. أرسلت الشمس أشعتها الخريفية الواهنة، فبدت الفلاة مد البصر شفافة. امتطى يزيد صهوة الحصان و ألقى نظرة افتراس قبل أن يلهب ظهر الجواد بالسوط معلنا بداية الجولة. بدا وجهه المجردور في أشعة الشمس مقبلا كحيوان متنمر. أمعن يزيد في البادية جنوبا و الكلاب خلفه تملأ الفضاء نباحا. و شيئا فشيئا خف صوتها و لم يبق الا صدى سنابك الحصان و هو يطوى المسافات الطويلة. ظهرت شجيرات صغيرة الى جانب ربوة؛ شد زمام الحصان بعنف، و لوى رقبته باتجاهها، راح الحصان يخطر ببطء. ألقى يزيد نظرات مشتعلة تلهب المكان و أرهف أذنيه الى [صفحة ٨٦] خشخشة الأشواك، فجأة ظهرت ظبية مدعورة و معها صغيرها و قد بدا غير مكترث لما يرى. استل يزيد سهما و وضعه في كبد القوس، ضيق احدى عينيه و جعل امتداد النصل فيما بين عيني الظبية؛ ثم عدل عن فكرته. نقل اتجاه النصل الى الصغير و اختار أسفل رقبته الصغيرة، أفلت سهم فانطلق يشق طريقه الثاقب في الهواء الى رقبه الصغير الذي تراخت قدماه الا ماميتان فهوى جانبا فوق الأرض. سدد الصياد سهما آخر صوب الام التي فرت مدعورة خلف الربوة ثم اتخذت طريقها في بطن الوادي ممعنة في الفرار. ألهب الصياد ظهر حصانه مطاردا فريسته خلال الوادي. فجأة كف عن المطاردة و عاد أدراجه الى حيث هوى الصغير يعالج جرحه النازف. كمن الصياد خلف شجيرات الشوك بعد أن ربط حصانه في مكان قرب الربوة و ظل يتربص. كل شيء كان هادئا ما خلا نسما رقيقة تداعب الشجيرات الشوكية المتناثرة هنا و هناك. ظهرت الظبية من بعيد تخطو باتجاه الصغير خائفة تتربص؛ حركت أذنيها تمسح المكان و حدث عينيها الحوارين تستكشف الخطر. كان الصغير يدعوها... فراحت تقترب رويدا رويدا... راحت [صفحة ٨٧] تمسح الجرح برفق. وضع الصياد القاسى سهما في كبد القوس و سدد باتجاه عين حوراء. نبت السهم الغادر في العين فانطفأت و انكفأت الظبية الى الوراء و قد أصابها مس من الجنون يكشف عن حجم الآلام الرهيبة التي تفجرت في رأسها. كان الصياد يراقب منتشيا فريسته التي راحت تدور في الأرض قبل أن تسقط الى جوار صغيرها الذي ودع الحياة هو الآخر. في المساء تصاعدت رائحة الدخان ممتزجة برائحة الشواء و علت قهقهات رجل ينهش متلذذا اللحم المشوى و يكرع كؤوس الخمر. [صفحة ٨٨]

و سلاحه البكاء (٢٤)

الصحراء مد البصر بتموجات الرمال و خشخشة الأشواك. و القافلة التي حطت رحلها ثلاثة أيام في كربلاء تنساب في بطون الأودية في طريقها الى المدينة المنورة من أرض الحجاز. قافلة عجيبة أريد لها أن تصحح مسار الانسان... ليس فيها الآن الا نسوة و أطفال و فتى وحيد قد ذرف على العشرين. انها تشق الطريق صوب وطن فارقه مدعورة و تعود اليه اليوم مقهورة... تترك آثارها في المحطات المتعاقبة و في التاريخ. كان لها موقف في «عذيب الهجانات» و في «الرهيمة»، و في «البيضة» و في «شراف» و في «بطن العقبة» و في «الشقوق» و في «الثعلبية» و في «زرود» و بعدها في «الخزيمية» ثم في «الحاجر» و في «ذات عرق» و في كل المواقع التي مرت بها القافلة يوم رام الحسين تصحيح مسار التاريخ البشري. و لما وصلت القافلة قريبا من «ثنيات الوداع» ألقى برجلها. التفت الفتى الى رجل كان قد التحق بالقافلة في عرض الطريق: [صفحة ٨٩] - يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه؟ أجب ابن حذلم: - بلى يا ابن رسول الله انى لأقول الشعر. - أدخل المدينة اذن وانع بأب عبد الله. انطلق الفارس صوب المدينة بشيرا و نذيرا و الى جانب المسجد انطلقت صرخة هزت المدينة و الانسان و التاريخ: يا أهل يثرب لا مقام لكم بها. قتل الحسين فأدمعى مدرار الجسم منه بكربلاء مضرخ و الرأس من فوق القناة يدار ان هي الا صيحة واحدة فاذا هم من البيوت الى المسجد ينسلون. هتف أحدهم مدهوشا: - ماذا وراءك؟! صاح الفارس كأنه يخاطب العالم بأسره: - هذا على بن الحسين مع عماته و اخواته قد حلوا بساحتكم و أنا

رسوله اليكم أعرفكم مكانه. طفحت أسئلته متعجبة... خائفة.. قلقة: - والحسين و الرجال؟! [صفحة ٩٠] - لقد قتلوا جميعا صرعتهم القبائل و الرماح... و الظمأ.. - أين؟! - على شطآن الفرات في أرض تدعى كربلاء. خرج أهل يثرب الى عرض الصحراء كأنهم يلبون نداء من وراء ستار الغيب. نهض الفتى ينوء بنفسه تخنقه العبرات و تضرب رؤيته الدموع.. وضع له كرسى خارج الخيمة فتهالك فوقه، يستقبل آلاف الكلمات المعزية. كانت المدينة تبكي، الأرض و الحجارة، و قلب الانسان. آن للمدن أن تغسل اثمها و عارها، آن للأرض أن تطهر ثراها، و آن للانسان أن يقول كلمته. أو مأ نجل الحسين الى الناس أن اسكتوا فلما اشرب الأعتاق قال: - الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم.. مالك يوم الدين باري الخلائق أجمعين. الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، و قرب فشهد النجوى. نحمده على عظام الامور و فجائع الدهور، و ألم الفجائع و مضاضة اللواذع، و جليل الرزء. ان الله تعالى و له الحمد ابتلانا بمصائب جليئة و ثلثة في الاسلام عظيمة. سكت الفتى هنيهة ليروى روح الملحمة: [صفحة ٩١] - قتل أبو عبد الله الحسين و عترته، و سبيت نساؤه و صبيته، و داروا برأسه في البلدان. و أردف معلنا نهاية زمن الفرح و بداية حزن الانسان: - فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله؟ أم أى فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أية عين منكم تحبس دمعها و تضن عن انهما لها؟! لقد بكت السماوات الشداد لقتله و بكت البحار بأمواجها. و الأرض بأرجائها و الأشجار بأغصانها. و الحيتان فى لجج البحار و الملائكة و انهمرت الدموع غزيرة كسماة حزينه توشك أن تقول: - و بكاه الانسان. بركت النوق عند مسجد النبي توقظ فى الذاكرة يوما بركت فيه «القصواء». هتفت زينب و هى تأخذ بعضادتي المسجد: - يا جداه! انى ناعية اليك أخى الحسين. و صاحت سكينه: - يا جداه اليك المشتكى مما جرى علينا.. فوالله ما رأيت أفسى من يزيد و لا رأيت كافرا و مشركا شرا منه و أجفى و لا أغظ.. كان يقرع ثغر أبى بمخصرته و يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين. تساءل رجل بشماته: [صفحة ٩٢] - من الغالب؟ فأجاب فتى الحسين يعلمه سر النصر و معنى الانكسار: - اذا دخل وقت الصلاة فأذن و أقم تعرف الغالب. و سكت الرجل الشامت لا يدري ما يقول. [صفحة ٩٣]

و سلاحه البكاء (٢٥)

عندما ينهار السد يتحول الماء الهادئ الى سيل تفقد الأشياء فيه استقرارها و ثباتها، فالأرض تهتز تحت الأقدام أصابها زلزال و البحر أمواج غاضبة، و السماء مكفهرة مخزونة بالبرق و بالرعود. لم يعد هناك شىء ثابت، كل الأشياء تهتز بشدة. أصابها مس من الجنون. لم يعد هناك معقول و لا غير معقول، كل شىء مستباح أمام خيول الغازى يزيد. هتف ابن غسيل الملائكة و قد التف حوله أهل يثرب: - أخشى أن تمطرنا السماء بالحجارة... انه رجل ينكح امهات الأولاد و البنات و الأخوات و يشرب الخمر حتى يدع الصلاة. همس أحدهم متأسفا: - و قتله الحسين سبط محمد و سبى نساؤه و عياله من بلد الى بلد. قال ابن حنظلة: - أجل والله لأقاتلن حتى لو لم يبق معى أحد. كانت السماء تنوء بغيوم شتائية و الرياح تهب من ناحية الشمال؛ [صفحة ٩٤] و الأرض حبلى بالحوادث، و الأنباء تترى عن جيش قوامه ثلاثون ألف شامى يزحف باتجاه المدينة المنورة يحمل فى طواياه الويل و الثبور. الغيوم السوداء تعبر السماء كسفن تعصف بها ريح غاضبة. يثرب تستعد للمواجهة و قد انبرى الرجال لحفر الخندق من جديد فالأحزاب قادمون؛ و انطلق رجال من أهل المدينة الى مناهل المياه فى طريق الشام يملأونها قطرانا فقد يعرقل ذلك اندفاع القوات الزاحفة. قال أحدهم و هو يفكر فى لحظة المواجهة: - و بنو امية فى المدينة. انهم خطر يهددنا فى كل ساعة، عددهم يربو على الألف.. فماذا نفعل؟ أجب آخر: - نجليهم عن ديارنا. - اذن سوف يدلون العدو على نقاط الضعف فى المدينة. - نأخذ عليهم العهد و الميثاق. - و متى كان هؤلاء يعرفون للعهد حرمة و للمواثيق اجلالا؟ - ليس أمامنا الا أن نقتلهم أو الجلاء. - الجلاء أفضل اذن. وصلت الجيوش «وادى القرى» و كانت السماء تبكى بصمت. قال قائد الجيش و كان مسرفا لابن عثمان: [صفحة ٩٥] - ماذا وراءك و أشر على. - لا أستطيع، قد أخذ علينا العهد و الميثاق أن لا ندل على عورة أو نظاهر الغزاة. شعر المرى بالحقد يعصر قلبه: - لولا انك ابن عثمان لضربت عنقك... اخرج. و التفت الى ابن مروان و قال بجفاء: - هات ما عندك. أجب ابن مروان و قد تحفز فى أعماقه «الاسخريوطى» - نعم أنا أدلك.. و أردف و هو

يشرح له خطة الغزو: - انطلق بالجيش الى «ذى نخلة» لتكون في مكان تحشد فيه جنودك فاذا طلع الفجر اجعل المدينة على يسارك ثم در بها حتى تصل «الحره» في جهة الشرق، ثم ازحف عليهم مع شروق الشمس. نظر المرى الى ابن مروان متفحفا و عيناه الكليلتان تسألانه عن جدوى ذلك. قال حفيد الزرقاء مستأنفا: - فاذا أشرقت الشمس فستكون في خلف جيشك و في عيون المدينة و ستؤذيهم فلا تجعلهم يرون سوى بريق السيوف و الرماح تبهر عيونهم و تلقى الوهن في قلوبهم. صفق قائد الجيش متحمسا: [صفحه ٩٦] - الله أبوك أى امرئ ولدا! أشرقت الشمس ذلك اليوم حمراء حمراء كعين حمئة، و قد انقشعت السحب فاذا السماء زرقه صافية كبحر فيروزي اللون. نهضت ثلثه من المهاجرين و ثلثه من الأنصار، ولكن أنى لهؤلاء الوقوف بوجه الطوفان القادم من دمشق. و اشتعلت المعارك و بدت السيوف وسط الغبار. بروق تتقاتل فى الأرض، و أضحت «الحره» معراجا للأرواح التى اختارت الحرية، و كانت أسراب الجراد تفتك فى حقل ملئ بسنابل خضمر. و قبل الغروب انهار السد البشرى و ردم الخندق فاذا مدينة محمد فى مهب اعصار فيه نار. [صفحه ٩٧]

و سلاحه البكاء (٢٦)

أكثر من عشرة آلاف فارس و أكثر من خمسة عشر ألف من المشاة يتدفقون صوب المدينة بعد أن أعلن قائد الغزو: - انها مباحة لكم ثلاثة أيام. برقت فى العيون الجائعة آلاف الرغبات و تأججت فى النفوس الدنيئة حمى الشهوات؛ يا ليالى السلب و النهب و الرغبات المجنونة فى أحضان العذارى، قطعان الذئاب تتدقق صوب يثرب كطوفان مدمر. السيوف الشامية تحصد آلاف الرؤوس؛ كل شىء مستباح؛ الدماء تلون صعيد الأرض الطيبة، و استغاثات مقهورة ترتفع من حنايا البيوت و المساجد. - يا محمداه... يا نبى الله.. الخيول المجنونة تدور فى الأزقة و السكك بحثا عن الذهب و الفضة و عذارى المدينة. هناك فى أعماق النفس البشرية خنزير قابع مغلول بالسلاسل؛ [صفحه ٩٨] ولكن الشيطان قد يتسلل فى غفلة الانسان فيحطم تلك القيود و عندها يقفز الخنزير يعربد و يدمر و ينتهى الانسان.. ربما يقتله الخنزير أو يصصره أو يوثقه الاكتاف. و هكذا كان.. يوم هوى الحسين فوق الثرى و نام، و ثب الخنزير المصنفد بالسلاسل و الأغلال، و ثب مجنونا وراح يرقص رقصة الحرب و الغزو تتأجج فى عينيه الشهوات و تبرق فى رؤاه الاسلاب، ها هى الخيول الغازية تعبر جثه الحسين و تنطلق لاستباحة العالم.. لم تبق هناك من حرمت فالكل مستباح. كانت صبيئة تركض.. مبهورة الأنفاس يطاردها ذئب.. تعثرت.. وقعت على الأرض.. نهضت رغم جراحها هرولت كظبية يطاردها صياد دنىء.. اشتعلت فى أعماق الذئب حمى الشهوات. برقت عيناه كأفعى.. طاردها عبر بوابة مسجد النبى لم يطرف له جفن... لاذت الصبيئة وراء قبر الرجل السماوى.. لاحقها و هو يلهث... لجأت الى المحراب... ولكن الذئب لم يعد يرى شيئا، جذبها من ظفيرتها.. افترشها.. انتزع منها أعظم كنز تملكه العذارى... و لم ينس و هو يقوم عنها أن ينتزع أساور من ذهب و فضة.. لم تعد ذات قيمة فى نظر الفتاة، فتركته يفعل ما يشاء. جثم صمت مخيف فوق المدينة الحزينة و قد غادر الجنود الى [صفحه ٩٩] معسكرهم يحملون الأسلاب. كان يسير يهز الأرض بقدميه الغليظتين يكاد يحرق بنظراته المشتعلة الأبواب و الكوى و جدران البيوت الطينية. سمع و هو ينعطف باتجاه الشمال بكاء طفل رضيع. تسمر.. نهض الخنزير على قوائمه الأبع.. رفس الباب. وجد اما صغيرة.. كانت جالسة وسط الحجره و قد تبعثرت حولها الأشياء... المنظر ينم عن مرور الجنود منذ ساعة. صرخ الجندى الغليظ: - هات ما عندك. قالت الام الصغيرة: - ما تركوا لى شيئا... سلبونى كل شىء. اشتعل الحقد فى أعماقه.. و تأججت شهوته و هو يكاد يلتهم ثديها بنظراته.. جذب الرضيع بقسوة و لظشه بالجدار... كانت الام الصغيرة كالعصفور بين يديه... لم يجد معها ذهابا و لا فضاة فأخذ منها شيئا آخر و غادر البيت.. و فى هذه المرة كان الطفل ساكتا و امه تبكى... تبكى كل الأشياء.. كل الأشياء العزيزة التى فقدتها فى لحظة من ليل الذئاب. الرؤوس تتساقط كنجوم منطفئة؛ كان قائد الغزاة يتوعد و يهدد و يشتم بعد أن أمر بالقضاء القبض على «على بن الحسين» ذلك الفتى الذى أنجاه الله من قبل. [صفحه ١٠٠] و جاءوا بالفتى الذى يحمل فى وجهه سيماء النبوات. الصلاة تنساب على شفثيه.. كان يتمم بخشوع: - اللهم رب السموات السبع و ما أظللن،

و الأرضين السبع و ما أقلن.. رب العرش العظيم.. رب محمد و آله الطاهرين.. أعود بك من شره و أدراً بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره و تكفيني شره. الذين حضروا اللقاء كانوا يدركون انها النهاية و لسوف ينقطع نسل الحسين الى الأبد... ولكن ماذا حدث لكي ينقلب الموقف. فاذا الذى كان يتوعد و يهدد، و الرؤوس تتساقط بين يديه دون أن يطرف له جفن، ينهض باجلال للفتى القادم بل يقوده بنفسه ليجلسه على سريره.. و فغر الذين حضروا اللقاء أفواههم دهشة و قد سمعوا الرجل الذى لا يعرف حرمة للدماء الآدمية يقول للفتى: - سلى حاجتك يا أبامحمد. قال الفتى بحزن: - أسألك أن تكف السيف عن قتل الناس. أطرق القائد موافقا. قال المرى متوددا: - لعل أهلك فزعوا. أجاب ابن الحسين: - أى والله. [صفحة ١٠١] هتف قائد الجيش: - أسرجوا له دابته.. و أردف مخاطبا الفتى: - لو كان عندنا شىء لوهناك. قال الفتى و هو يستوى فوق دابته. - ما أعذرني للأمير. و انطلق الفتى.. بعد أن أوقف مسلسل القتل و طاحونة الموت فتنفس الناس الصعداء. [صفحة ١٠٢]

و سلاحه البكاء (٢٧)

كمن يجمع الثمار المتساقطة من شجرة تعصف بها الريح من كل مكان، كان «ابن الزبير» يراقب ما حوله و يجمع حوله الغاضبين على «يزيد» بينما شجرة الاسلام تهتر من الجذور. كان «المختار» قد وصل حديثا بعد ما أطلق سراحه فى الكوفة؛ رجل دفعته الأقدار لمساندة «ابن الزبير» لا- لشىء سوى الثورة على الظلم و الانتقام من قتله أولاد الأنبياء. بدا ابن الزبير سعيدا بتحالفه مع المختار، هتف ابن الزبير بحليفه الجديد: - هيا بنا الى طريق القوافل... لقد بعثت من يأتيني بالأخبار. قال المختار و هو يحرق فى الأفق البعيد حيث تلتقى السماء بالأرض: - أرى فارسا قادم من بعيد. - أجل انه هو. مرت لحظات يحسبها المنتظرون ساعات طويلة كان صدق [صفحة ١٠٣] سنابك الحصان يرتفع شيئا فشيئا و الغبرة تقترب رويدا حتى اذا أصبح على خطوات كبح الفارس جماح حصانه و هتف مبهور الأنفاس: - دخل الجيش المدينة و استباحها ثلاثة أيام و قتل أكثر من عشرة آلاف من أهلها.. و عرض النسوة للبيع فى الأسواق. عض المختار على نواجذه غضبا: - اللعنة على المرى.. لم أر أكثر منه جراً على الدماء. قال الفارس: - انتقم الله منه... مات بعد مغادرة المدينة و عين على الجيش «الحصين بن نمير» و أوصاه بالفتك بأهل مكة. تمت «ابن الزبير»: - الحصين لا يحتاج الى من يوصيه، انه لا يقل قسوة عن أسياده. التفت المختار الى صاحبه: - ماذا تنوى أن تفعل؟ - نعصم بالحرم فربما تردعهم حرمة الكعبة. - ولكن هؤلاء لا يقيمون للكعبة وزنا!! - سوف نرى.. كما انه ليس بمقدورنا أن نفعل شيئا آخر. و تمر الأيام ثقيلة مريرة، و ليالى مكة تموج بالقلق و الهم و الترقب، و السماء تنوء بسحب سوداء كتلال من الدخان. وصلت الجيوش الغازية، و أخذت مواقعها فوق رؤوس التلال [صفحة ١٠٤] المشرفة و على سفوح الجبال. الجنود ينقلون المنجنيقات لتأخذ مواقعها فى القمم استعدادا لقصف المدينة التى بدت ذلك الصباح القاتم مقفرة تماما. كان «الحصين بن نمير» قائد الغزو يتطلع الى مكة و قد بدت الكعبة فى فئتها كشيخ يتعبد وحيدا. نظر الى المنجنيقات الهائلة و الى كتل الحجارة المنقوعة بزيت النار.. كل شىء ينتظر اللحظة الفاصلة. لوح ابن نمير بسوطه فى الهواء معلنا بداية المعركة و هتف بحماس: - اقصفوهم بالمجانيق. و انهمرت كتل نارية على بيوت المدينة و كان خط النار يقترب شيئا فشيئا من أول بيت وضع للناس... بيت بنه ابراهيم و اسماعيل. كانت خطة الاحتلال تقضى بدك المدينة بالمجانيق ثم اقتحامها بسلاح الفرسان تساندهم قوات المشاة. كانت حدة القصف تتصاعد و عينا القائد تشتعلان حقا. حاول ابن الزبير بث الخلاف فى صفوف الغزاة. فأصدر أمرا بالاعتصام بالحرم. كانت كتل النار تهوى فى واد غير ذى زرع؛ زرع زرع؛ زرع ابن نمير و هو يرى فتور القصف: - اقصفوهم بشدة. هتف جندى: [صفحة ١٠٥] - انهم يعتصمون بالكعبة؟! - اقصفوا الكعبة اذن... أيها الأحق. و أردف مبررا: - نحن ننفذ أمر الخليفة.. هل تفهم؟ كانت كتل النار تنفجر فى باحة الحرم.. تتشظى.. و شبت النار فى جدران الكعبة، و كانت السماء تشهد اصطكاك الغيوم فاشتعلت البروق و ضربت الصواعق منجنيقا فأحرقته مع جنود كانوا حوله. أراد ابن نمير حسم الموقف بدفع فرسانه و أعقبهم بالمشاة. دارت معارك ضارية فى الحرم، و قد شوهد المختار يقاتل ببسالة و هو يهتف فى جنوده: - دافعوا عن بيت الله. و فى ذرى التلال كان

ابن نمير يتلقى نبأ وصله توا من دمشق: - لدى نبأ هام أيها القائد. - تكلم!! لقد توفى الخليفة. بلغ القائد ريقه و حشرج بصوت مكتوم: - ماذا تقول؟!..! اكنتم الخبر ما استطعت. غير ان خبرا كهذا لا يمكن اخفاؤه.. لكأن روح الشيطان تتراجع منذ اللحظة التي ذهب فيها يزيد الى مصيره المجهول في رحلة صيد. [صفحة ١٠٦]

و سلاحه البكاء (٢٨)

ما أسهل على المرء أن يهدم و يدمر، و ما أيسر أن يجتث شجرة معمرة من جذورها، ولكن ما أشق البناء، انه يحتاج الى فكر و تأمل و تدبر فالبناء تحكمه قوانين و زراعة الأشجار تحتاج الى صبر. البناء بصيرة و فكر و تأمل، و العدم قوة عمياء تتخبط كيف تشاء. انها محنة البناء في زمن التدايعات.. في زمن الانهيارات التي لا يوقفها شيء. لقد اختفت الروح التي كانت تحرك التاريخ و تصنع الانسان و استيقظت الغرائز لا.. بل انطلقت مجنونه في زمن انطفأت فيه الشمس، فاذا ليل الجزيرة ينوء بظلمات بعضها فوق بعض. و بين الفينة و الاخرى تتألق حلقات من ضوء تستمد جذوتها من روح مشتعلة في كربلاء. هناك و على شاطئ الفرات جرح يفور يتحدث بلغة عجيبة. تبت الأرض أسرارها، و النفوس المقهورة تحلم ب حياة أفضل. التاريخ يشعل الحوادث هنا و هناك. [صفحة ١٠٧] فر الأرقط الى الشام تاركا العراقيين خلف ظهره؛ تطارده روح الحسين. الثمار تتساقط في قبضة «ابن الزبير» خليفة الحجاز و العراق و مصر و أجزاء من الشام؛ و قد شبت النار في داخل البيت الاموي، و ابن الزرقاء يستولى على دمشق عاصمة الشام و يسترد مصر، ثم يموت مخنوقا في فراشه، خنقته ام خالد التي تزوجها بعد هلاك يزيد!! كان عبدالملك جالسا يقرأ القرآن عندما بشر بموت أبيه و الخلافة... مرت لحظات صمت ثم أطبق المصحف و تتم مخاطبا كتاب السماء: - هذا فراق بيني و بينك. و كشر الخليفة الجديد عن أنياب حادة و بدأ حربه من أجل استعادة الملك... فكان الأرقط قائده الأول في حملة لاستعادة الأرض العراقية، و تحرك جيش قوامه ثمانون ألف. و في الكوفة استيقظ الآلاف من خدر قديم و أعلنوا توبتهم من اثم ارتكبهه قبل سنين. و كان «سليمان بن صرد» رجل خزاعة زعيما للتوايين، و اشتعلت الثورة في النفوس و التهب الضمائر و تحرك أكثر من أربعة آلاف انتحاري صوب كربلاء كعبة الأحرار في العالم؛ لتشهد تلك البقعة من دنيا الله أعظم مناحة في التاريخ، فالثورة دماء و دموع، سيوف و ضمائر ملتهبة، أفكار و نفوس تتأجج بغضب سماوي. و هكذا ولد الحسين من جديد سيفا.. قرآنا.. سهيلا مخزونا [صفحة ١٠٨] من لحظة عاشوراء. المعارك تشتعل في كل مكان و قد غادرت السيوف أعماقها ولكن هناك معركة في ميدان عميق... معركة في داخل النفس البشرية لم يحسم الصراع فيها بعد. منذ هزيمة الروح في شاطئ الفرات بصفين.. منذ ذلك التاريخ و الضمير المثقل بالخدر يعاني حمى الانتفاض، و لقد انبعثت نافورة الدماء بكربلاء لتطهر النفوس و تبعث الحياة في الرماد. في لحظة تشبه يوم القيامة في لحظات المعاد. و هكذا أراد الحسين... رسم بدمه ملحمة الموت من أجل الحياة، و الفارس الذي حطم جدار الزمن ما يزال يقاقل. أصداء سهيل في عاشوراء تدوى في النفوس.. تنتزع من قلب الشتاء الربيع، و من رحم الموت الحياة؛ و من أجل هذا كان على لا-يفتأ يبكي أباه. الدموع ينبوع يغسل القلوب... يطهر الضمائر من كل أدران الحياة... و عندها ينبعث الحسين. [صفحة ١٠٩]

و سلاحه البكاء (٢٩)

غادر «المختار» الحجاز عائدا الى الكوفة يحمل في أعماقه غضب الثورة. و في الكوفة اجتمع «الأشراف» الى الأمير «عبدالله بن مطيع» حاكم الكوفة من قبل «ابن الزبير». تتم عمر بن سعد محذرا: - أيها الأمير! ان المختار أشد خطرا من «سليمان بن صرد». ان سليمان قد خرج من الكوفة لقتال أهل الشام أما المختار فانه يستعد للوثوب في الكوفة. و همس «شيث بن ربعي»: - أرى أن تودعه السجن أيها الأمير... و أردف و هو يحك ذقنه: - من الأفضل أن نتغدى به قبل أن يتعشى بنا. أجب الأمير و كان يتهب اعتقال المختار: - لا تخشوا شيئا.. فرجالي يراقبون كل شيء. [صفحة ١١٠] تساءل شيث: - حتى تردد «ابن الأشر» على منزل المختار؟! صوب الأمير

نظرات متسائلة: - ماذا تعنى؟ - أيها الأمير.. أرى أشباحا تتسلل فى الظلام.. و أرى رجالا يشترون السلاح فى ضوء النهار. - و هل فى هذا ما يخشى.. ثم ان المختار كان يحارب الى جانب «ابن الزبير» فى مكة.. - كل هذا صحيح ولكن المختار يضمم الانتقام ممن شارك فى قتل الحسين. تشاءب الأمير و تمللم فى جلسته. لقد مر شطر طويل من الليل.. نهض متثاقلا و سأل: - ألا تنصرفون الى بيوتكم؟! تبادل الجلوس نظرات قلقه. قال ابن سعد بلهجة فيها استعطاف: - ان أذن لنا الأمير أمضيها الليلة فى القصر. و استدرك: - و الليالى المقبلة أيضا. همس شبت بقلق: - النوم لا- يزورنى فى البيت... و كيف يغمض لى جفن و أنا أسمع [صفحة ١١١] خطى تجوس فى الظلام. ألقى الأمير نظرة استخفاف و غادر المكان. خيم صمت ثقيل. قال «الأبرص» الذى ظل ساكنا كل ذلك الوقت: - هل سمعتم أخبارا جديدة؟ - جاء رسول من المدينة يحمل كتابا من «محمد ابن الحنفية» الى المختار. - ماذا كان فحواه يا ترى؟! - مهما كان فان المطلوب هو رؤوسنا. نظر ابن سعد حواله بحذر و قال بصوت خافت: - لا تنسوا ان «ابن زياد» قادم على رأس ثمانين ألفا من جنود الشام. - و هل تعتقد انه سيغفر لنا بيعتنا «لابن الزبير»؟ - انه يعرف - رأينا جيدا و لن يجد أفضل منا أعوانا له. نهض الثلاثة و أخذوا طريقهم الى سلالم تؤدى الى سطح القصر... كانت السماء مرصعة بالنجوم و نسيمات باردة تهب برفق.. و صمت ثقيل يغمر الكوفة ما خلا سنابك خيل الدوريات و هى تجوب أزقة المدينة الغارقة فى الظلام. [صفحة ١١٢]

و سلاحه البكاء (٣٠)

مثما تشب النار فى أكوام التبن، اشتعل حريق الثورة فى الكوفة مدينة من رماد فى طواياها جذوة نار أوقدها رجل هوى على شاطئى الفرات ككوكب درى. دوت شعارات الثورة فى ليلة خريفية عاصفة... و استيقظ النائمون على صيحات الثائرين: يا لثارات الحسين. و فرت الرؤوس المطلوبة، و تساقط بعضها كما تساقط الثمار الفاسدة. سقط رأس ابن سعد، فيما فر شبت الى البصرة الى أحضان ابن الزبير، و فر أثره الأبرص لا- يلوى على شىء. و انطلقت خيول عربية تبحث عن الذين كفروا انهم لا- ايمان لهم. أحاطت الخيول بخيمه فى «الكلتانية» و خرج الأبرص مرعوبا بيده رمح. حانت لحظة القصاص؛ و سقطت ثمرة فاسدة، و عادت الخيول تزف البشرى الى القلوب المقهورة. [صفحة ١١٣] طارت الأنباء الى المدن القريبة و البعيدة كفراشات ملونة تبشر بالربيع. كان «قصر الامارة» الذى شهد آلاف الجرائم قد حولته الثورة الى محكمة كبرى للاقتصاص من المجرمين. دخل المنهال الذى عاد توا من رحلة الحج قصر الامارة يبلغه تحيات أهل بيت مقهور. كان الجنود يجرون رجلا تكاد حدقاته تفران رعبا. نظر المختار اليه بغضب: - أنت حرمله بن كاهل؟ - أجل. قال بلهجة ساخرة: - اذن حدثنا عن شجاعتك يوم «الطف». أطرق الرجل الفأر رأسه: - كان الحسين يحمل طفله الرضيع و يطلب من الجيش قطرة ماء.. فلقد جف لبن امه من العطش و الظمأ و الحصار. - و هل سقيتموه. - كلا. - ألم يكن معكم ماء؟ - كان الفرات يموج بالمياه. - ماذا فعلت يا رجس؟ [صفحة ١١٤] - من بعيد بدت رقبة صغيرة تتألق فى الضوء، كانت ناصعة كالقطن. وضعت سهما فى كبد القوس. كان السهم حادا نفاذا ذبح الطفل من الوريد الى الوريد.. و هكذا أراد ابن سعد. - ماذا صنع الحسين فى تلك اللحظة؟ - نظر الى الطفل ثم ملاً كفه من الدماء المتدفقة ورمى بها نحو السماء.. و هتف بصوت سمعه الكثيرون.. - ماذا قال يا وغد؟ - كان ينظر الى السماء و كأنه يخاطب ملكا عظيما. هتف عاليا: اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقه صالح. دمعت كل العيون. كان «المنهال» يبكى بصمت و قد اشتعل غضب مقدس فى الأعماق.. حتى نسى كل ما يدور حوله.. انتبه الى نفسه على صوت غاضب: - الحديد و النار.. اقطعوا يديه و رجله و القوه فى النار. كذلك جزاء المجرمين. فغر المنهال فمه دهشة و هو ينظر الى ما يجرى حوله فهتف: - سبحان الله.. سبحان الله. التفت المختار: - التسبيح حسن ولكن لم سبحت؟ - لما ذهبت الى المدينة بعد الحج مرتت بمنزل على بن الحسين.. [صفحة ١١٥] كانت الدموع تملأ عينه فسألنى: ما فعل حرمله بن كاهل؟ قلت له يا سيدى تركته بالكوفة حيا. فرفع يديه الى السماء و تضرع بصوت شجى قائلا: اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار.. و ها أنا أمامى كيف تجاب دعوة عبد صالح.. هتف المختار مأخوذا: - الله.. الله أسمعت على بن الحسين يقول هذا؟! - الله... الله لقد سمعته يقول هذا.. و

الله ان كلماته ما تزال تتردد في اذني. و هوى المختار ساجدا لله.. قال المنهال متوددا: - ألا تتغدى عندي اليوم أيها الأمير. تتمم و قد غمرت وجهه مسحة شفافة من النور: - هذا يوم صوم شكر لله. [صفحة ١١٦]

و سلاحه البكاء (٣١)

كما تشير البوصلة الى قطب الشمال. كان هناك شىء ما يتجه من بعيد يشير الى بقعة على شطآن الفرات... الى منائر تنبعث من أعماق المياه.. شىء يشبه الروح تفصح عنه الحوادث كما تفصح الأرض عن سر البذار. مضى التاريخ يشعل الحوادث هنا و هناك. الخيول تهز الأرض و تثير الغبار.. تغير على المدن، فى العراقين و فى الحجاز. فقد الانسان العربى طمأنينته.. و رحل زمن السلام، و هاجرت الروح بعيدا. و عندما تغيب الروح، تنطفئ الجذوة المشتعلة التى تضبى للانسان طريقه فى الحياة. بدت الكعبة ذلك العام كسفينه وسط أمواج بشرية متدافعة. تتمم «زين العابدين» بحزن: - ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج.. وقف سعيد بن المسيب وسط حشود القراء ينتظرون رجلا [صفحة ١١٧] يدعوه الناس بألقاب؛ فاذا قيل «ذو الثغفات» أو «سيد العابدين» أو «زين العابدين» أو «السجاد» أو «الزكى» أو «الأمين» فان الأذهان تنصرف الى شاب فى الثلاثين من عمره.. عليه سيماء النبوات و قد رسم الحزن لوحة فى عينيه تموج فيها غيوم مخزونة بالمطر. - ها هو قادم. هتف أحد القراء و قد أشار الى جهة تفضى منها قوافل الحجيج. و رنت الأبصار الى نبع الطمأنينة فى دنيا كل ما فيها يدور بعنف. تهفو له القلوب الحائرة و هى تبحث عن طريق السماء بعدما تشابهت عليهم السبل. انطلق الركب باتجاه الشمال الى حيث هاجر محمد من قبل؛ سفن الصحراء تطوى المسافات الزاخرة بالرمال. مالت الشمس نحو المغيب، و ألفت السفن مراسيها ليلتقط المسافرين أنفاسهم. ثمه شجيرات تحيط بغدير ماء؛ و مضارب لخيام بعيدة، و نسوة يحملن جرار الماء و يتجهن صوب الخيام. غابت الشمس وراء كثبان الرمال؛ و بدت ذرى التلال متقدة بضوء يفور حمرة. شمر «زين العابدين» عن مرفقيه و راحت مياه الضوء تنثال على وجه مضيئ فتساقط حباتها محدثة نغما هادئا. اتجه حفيد النبى بكليته الى البيت المعمور و كبر للصلاة. بدا [صفحة ١١٨] كتمثال منحوت بخشوع ما خلا- نسومات كانت تحرك ثيابه البيضاء برفق. خيم صمت مهيب لكأن روح الانسان و هى تتصل بسبب الى السماء تهيمن على كل ما حولها و من حولها من شجر و حجر و آدميين. هوى الكائن الأبيض ساجدا للحقيقة الوحيدة؛ كحمامة تبشر بالسلام. انبعثت كلمات أخاذه لكأنها نهر يتدفق من جنات الفردوس، تنساب هادئة معبرة تمسح على القلوب فتبهبها السكينة و على الرمال فتغمرها خشوعا و جلالا- النبع المتدفق يسحر الكائنات بتسييح الانسان: سبحانك اللهم و حنانيك سبحانك اللهم و تعاليت سبحانك اللهم و العز ازارك سبحانك اللهم و العظمة رداؤك سبحانك اللهم و الكبرياء سلطانك سبحانك من عظيم ما أعظمك سبحانك سبحت فى الأعلى... تسمع و ترى ما تحت الثرى. سبحانك أنت شاهد كل نجوى سبحانك موضع كل شكوى سبحانك حاضر كل ملاء [صفحة ١١٩] سبحانك عظيم الرجاء سبحانك ترى ما فى قعر الماء سبحانك تسمع أنفاس الحيتان فى قعور البحار سبحانك تعلم وزن السموات سبحانك تعلم وزن الأرضين سبحانك تعلم وزن الشمس و القمر سبحانك تعلم وزن الظلمة و النور سبحانك تعلم وزن الفىء و الهواء سبحانك تعلم وزن الريح كم هى من مثقال ذرة سبحانك قدوس قدوس قدوس سبحانك عجا من عرفك كيف لا يخافك سبحانك اللهم و بحمدك سبحان الله العلى العظيم أمر عجيب! ماذا حدث؟ ما هذا الدوى الذى تردده الكائنات لكأن صوت الانسان قد فجر فى مكنوناتها الأسرار كما تنفجر من الصخر ينابيع الحياة فى لحظة تماس مع الغيب. الأشواك و ذرات الرمال و الشجيرات المتناثرة هنا و هناك تردد بصوت يشبه دوى النحل فى نخاريبها: سبحان الله.. سبحان الله. مرت لحظات مشحونة سمع فيها أبناء آدم و قد عادوا من الحج الأكبر تسييح الكائنات. [صفحة ١٢٠] فغرت الأفواه دهشة و انعقدت الألسن فى اللحظة التى يلج فيها ابن آدم عالم الملكوت. رفع الذى عنده علم الكتاب رأسه من الأرض و التفت الى ابن المسيب: - أفزعت يا سعيد؟ أجاب سعيد و قد تاب الى رشد: - نعم يابن رسول الله... - هذا التسييح الأعظم.. سكت هنيهة ثم أردف: - حدثنى أبى عن جدى رسول الله لا تبقى الذنوب مع هذا التسييح، و ان الله جل جلاله لما خلق جبريل ألهمه هذا

التسييح و هو اسم الله الأكبر. عادت الأشياء الى طبيعتها و آب الانسان الى عالمه حيث الأشجار صامتة و ذرات الرمال غافية منذ آلاف السنين؛ و بقى الانسان يتذكر لحظة قدسية و لج فيها الملكوت ثم عاد الى طبيعته مرة أخرى. [صفحه ١٢١]

و سلاحه البكاء (٣٢)

الأرض العربية تهترت تحت حوافر آلاف الخيول و هى تغير على المدن فتشتعل المعارك، و يتصاعد دخان الحرائق ليحرق العيون.. كل العيون. شبت النار فى «عين الوردة» و قد قتل صحابه كانوا حول الرسول و امتد الحريق الى «الموصل» هناك على شطآن «الخابور» قبل أن يرفد «دجلة» ملحمة يسقط فيها رأس «الأرقط»، و تشب النار فى بطائح الفرات فى ثورة للزئوج ثم تندلع فى الحيرة لتحرق الكوفة و يقاتل المختار وحيدا فى أزقتها و تتقدم زوجته بشجاعة الى لحظة الاعدام لتكون أول امرأة تقتل صبورا فى تاريخ الاسلام. الكوفة تستسلم لعبد الملك، و الحجاج بن يوسف يشدد الحصار على مكة و يقصف الكعبة بالمنجنيقات. الكعبة تحترق مرة أخرى و قد سجر الشيطان نيرانه و الجيوش الغازية تقتحم مكة فيرتفع ابن الزبير على أعواد الصليب. حتى اذا دخل الخريف و قد مرت سبعة قرون على ميلاد المسيح [صفحه ١٢٢] كان عبد الملك قد بسط سطوته على الأرض الاسلامية من خراسان الى «قرطاجة». خيم سلام المقابر فوق الأرض، بعد أن أخدمت الأنفاس فى «دير الجماجم» ليبدأ عهد جديد.. عهد الارهاب، و قد تسلط وحش كاسر يدعى «الحجاج» على مشارق الوطن المقهور. و استيقظت فى الذاكرة أحاديث قديمة... كلمات نقلها الرواة حول رجل يأتى فى آخر الزمان يحيل سنوات الرماد الى أعوام خصب، و قد ولد الربيع و استيقظت مواسم البذار؛ و البيادر تموج بحب الحصيد. نظر ابن جبير الى سيماء النبوت تطوف فوق جبين حفيد النبى، تفجر نبع حب فى القلب حتى فاضت كلمات: - انى لأحبك فى الله حبا عظيما. أطرق ابن النبى ثم رفع رأسه الى السماء و هتف بخشوع: - اللهم انى أعوذ بك أن أحب فيك و أنت لى مبغض.. و التفت الى سعيد و قال: - و انى لأحبك للذى تحبنى فيه. خيم صمت حزين و قد اشتعلت مشاهد قانية فى ذاكرة الرجل الكوفى: - حدثنى يا سيدى عن المهدي. أدرك ما يجول فى خاطر رجل مقهور ضاقت عليه الأرض بما [صفحه ١٢٣] رحبت و هو يروم العودة الى الكوفة الى حمامات الدم المراق بلا ذنب. قال سليل النبوت: - فى المهدي يا سعيد سنه من سبعة أنبياء من أبينا آدم و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و أيوب و سنه من محمد... فمن آدم و نوح طول العمر، و من ابراهيم خفاء الميلاد و اعتزال الناس و من موسى الخوف و الغيبة و من عيسى اختلاف الناس فيه و من أيوب الفرج بعد البلاء و من محمد الخروج بالسيف. أطرق ابن جبير يتأمل فى ملامح القادم الأخضر... الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا فلقد ضجت ظلما و جورا. غادر سعيد أرض الحجاز متوغلا فى الصحراء العراقية. ودع عوالم السلام فى مكة و المدينة و دخل الأرض الحزينة التى ما تزال تبحث عن أبنائها و لما تفقد الأمل بعد. [صفحه ١٢٤]

و سلاحه البكاء (٣٣)

جلس الحجاج فى قصره المنيف الى يمينه «تياذوق» و الى شماله «تاودون» تبرق عيونهما حقدًا على الأشياء التى تنبض بالحياة.. على القلوب التى تخفق بالحب حتى ان المرء ليعجب كيف أصبحا طيبين. رائحة الدم تزكم الأنوف.. صمت مهيب يغمر المكان، و قد بدا القصر مسحورا... العيون جامدة كأحداق زجاجية و القلوب مقدودة من صخور صماء قاسية. كان «الحجاج» ينتظر غريما طالما جد فى البحث عنه و ها هم يرسلونه مخفورا من مكة. ارتفعت جلبه فى باب القصر. عرف الحجاج انهم قد جاءوا به. ليس جلد الأفعى و صوب نظرات حارقة الى الباب. و دخل رجل لا يخشى أحدا الا الله... كان هادئ القسماط مطمئنا... لا تعلق وجهه تلك الصفرة التى تغشى من فى قبضة الجلادين. تمت الحجاج ساخرا و هو يصعد النظر فى غريمه: [صفحه ١٢٥] - أنت شقى بن كسير؟ أجب بغير اكتراث: - امى أعرف باسمى. - لقد سمعت انك لم تضحك قط. - لم أر شيئا يضحكنى.. و كيف يضحك مخلوق من طين. - ولكنى أضحك. - كذلك خلقنا الله أطوارا. - هل رأيت شيئا من اللهو. - صفق الحجاج بيديه.. فوقف المطربون صفا، و ارتفعت

أصوات الأبواق، و صدح الناي، و علا الضرب على الأعواد. و بكى سعيد... انهمرت دموعه كغمامة حزينة. تمت «الجلاد» حانقا: - مالك تبكى؟ - لقد تذكرت أمرا عظيما. لقد ذكرني البوق بيوم النفخ في الصور.. و هذا العود نبت بحق و قطع للباطل و الفساد. - أنا قاتلك لا محالة. - الموت مصيرنا جميعا. - أنا أحب الى الله منك. - الله وحده علام الغيوب. [صفحة ١٢٦] - أنا مع خليفة المسلمين و أمير المؤمنين. ... أشار الذي بقبضتيه السوط و السيف فجاء جلاوزة يحملون الذهب و الفضة... و رمى الجلاوزة سحرهم الذي يخطف بالأبصار.. التفث الحجاج الى الرجل المكبل بالأغلال: - ما رأيك في هذا؟ - هذا حسن ان قمت بشرطه. - ما هو شرطه؟ - أن تشتري به الأمن يوم الفزع الأكبر. - الويل لك. - الويل لمن زحزح عن الجنة فهوى في قعر الجحيم. صرخ الحجاج بعصية: - اضربوا عنقه. قال المحكوم بالموت: - حتى أصلى ركعتين. اقترب «تاودون» من الأسير. وضع اذنه على بقعة صغيرة في أعلى اليسار من القفص الصدري. أرهف السمع... كان يتوقع ان القلب المحكوم بالموت سيتحول الى طبل يدق بعنف... يطلق صيحات الاستغاثة و الرعب. القلب [صفحة ١٢٧] المؤمن يخفق بهدوء. - أمر عجيب. تمتم الطيب و راح يتفرس في وجه الرجل العجيب... كل شيء يبدو هادئا لكأن هذا الرجل ليس محكوما بالفناء... انه ينظر الى الموت باستخفاف.. لربما يحسبه قنطرة يعبر خلالها الى عالم مفعم بالسلام. و توجه الرجل الذي أوشك على الرحيل الى عالم لا نهائي. الصلاة تناسب من بين شفتيه كنه هادئ: - وجهت وجهي للذي فطر السموات و الأرض. صرخ الحجاج: احرفوه الى قبلة النصارى: النهر الهادئ يتدفق سلاما: - أينما تولوا فثم وجه الله.. و انطلقت دعوة المظلوم تشق طريقها نحو السماء: - اللهم لا تترك له ظلمي و اطلبه بدمي و اجعلني آخر قتيل يقتله من امه محمد... و ارتفع سيف الجلاد ليهوى و يهوى معه رأس ما انحنى لغير الله... و سمع الحاضرون صوتا مهيبا: - الله أكبر... الله أكبر... الله أكبر... كان الحجاج ينظر متلذذا الى الدماء و هي تتدفق من الأوداج. [صفحة ١٢٨] الدماء تتدفق.. تتدفق. فغر الحجاج فاه! انه لم ير كهذا الدم الذي يشخب كالميزاب. التفث الى «تياذوق» متسائلا يطلب جوابا لهذا الدم الذي يتدفق بلا انقطاع. قال طيب الجلادين: - ان كل الذين قتلهم كانوا خائفين... تجمد الدم في عروقهم قبل أن يموتوا.. ماتوا قبل أن يقتلوا.. أما هذا؟! - تكلم! - لم يمت حتى بعد القتل.. صرخ الحجاج كمن أصابه مس من الجنون: - مالي و لسعيد بن جبير! [صفحة ١٢٩]

و سلاحه البكاء (٣٤)

وقف «عبدالملك» في شرفة «قصر الخضر» ينظر الى المساحات الخضراء الممتدة.. و ينابيع المياه المتدفقة؛ و هي تندفع خلال الأشجار. شعر بضيق في صدره كان يقلب رسالته من الحجاج حاكم المشرق الذي ثبت له أركان الحكم بقوة الحديد و النار. فيها كلمات تكاد تكون اندارا: اذا أردت أن يسلم لك ملكك فاقبل على بن الحسين... - أمر عجيب.. تمتم عبدالملك و هو يغادر الشرفة و أردف: - انه يبدو بعيدا عن شؤون الدنيا منصرفا عن الحياة مترويا في بيته يدعو... و يبكي ليس غير.. و ها هو الحجاج يقول بأن الخطر يكمن في هذا الرجل!! - لا.. لا.. هتف الخليفة.. بصوت مبسوح و أردف: [صفحة ١٣٠] - لن ألغ في هذا الدم. لقد رأيت بام عيني ماذا فعلت دماء الحسين من قبل.. كيف أحرقت آل أبي سفيان و لم تبق لهم باقية. ولكن سأحصى عليه حركاته و سكناته.. سأخنقه بالجواسيس، اما القتل فلا.. دخل الحاجب يحمل بيده رسالته من وراء الحدود. فض الخليفة الختم باهتمام فهى من القيصر جوستيان امبراطور الروم. و حضر المترجم قبل استدعائه. كاد الخليفة أن ينهار على الأرض و هو يصغى كلمات فيها تهديد و وعيد... و غطرسة: - أكلت لحم البعير الذي هرب عليه أبوك من المدينة.. لأغزونك بجنود مئة ألف و مئة ألف و مئة ألف. هتف الخليفة مذعورا و هو يتصور تدفق آلاف الجنود عبر الحدود لتأتى على كل ما حققه من انتصارات و يصبح ملكه في خبر كان... ليس الحرب هو مصدر الخطر.. هناك سلاح آخر أكثر فتكا. لسوف يقطع عن دولة الاسلام النقد. و هذا يعنى خراب البلاد. تمتم و هو يتهاكك على سرير كبير محلى بالذهب: - أحسبني أشأم مولود ولد في الاسلام. نشر المساء ظلاله و بدا قصر الخضر في غمرة الظلمة الخفيفة [صفحة ١٣١] بومه جاثمة تترقب شيئا ما. كان ضوء القناديل يتدفق من نوافذ القصر فبدت مساقط الضوء كدنانير ذهبية.. أو هكذا

كان خطر في بال «الخليفة» و هو يتأمل دينارا روميا فيه كلمات عن الأب و الابن و الروح القدس... حضر عليه القوم و أخذوا أماكنهم و هم ينظرون من طرف خفى الى حاكم البلاد من شرق خراسان الى أطراف «قرطاجة». طوح الخليفة المهموم بالدينار في الفضاء فسقط على البلاط المرمى محدثا رينا ساحرا. هتف بغیظ: - سوف يقطعون عنا النقد.. فغرت بعض الأفواه... و اتسعت بعض العيون دهشة و هم يصغون الى أنباء قادمة من وراء الحدود... القيصر يطلب المزيد... لم تعد تقنعه مئات الخيول العربية التي تدفعها الخلافة الاسلامية منذ عهد معاوية و الى اليوم... لم يعد يرضيه مئات العيسويين الذين يرغبون بالنزوح الى القسطنطينية.. و لا آلاف الدنانير في كل جمعة. ها هو يريد التنازل عن مزيد من الأراضي التي حررتها خيول الفتح. هتف الخليفة بصوت يشبه الاستغاثة: - ماذا أفعل؟ كان الصمت هو الرد الذي تلقاه.. تتمم «روح بن زنباع» من أقصى المجلس... ترددت كلماته رغم [صفحة ١٣٢] خوفها و ترددها: - انك لتعلم الرأي و الخلاص من هذا المأزق. هتف عبدالملك كمن يتشبث بعمود من سفينة محطمة وسط المياه: - ويحك من تعنى؟ قال الشيخ الذي عركته السنون: - الباقي من أهل بيت النبي. صوت اختلج في أعماق عبدالملك لم يسمعه أحد: - يا لى من أحقق؛ لماذا لم يخطر على بالي ذلك. [صفحة ١٣٣]

و سلاحه البكاء (٣٥)

خف عبدالملك لاستقبال شاب لم يبلغ العشرين بعد، يحمل معه خطه الخلاص... كان الاستقبال حافلا... وقف عليه القوم يتطلعون الى وارث الأنبياء. كان الخليفة على أحر من الجمر لسماع ما يحمله محمد عن أبيه. نظر الى ضيفه باجلال و فى عينه سؤال كبير. ابتسم محمد و قال: - الرأي أن تبعث له برسالة تستمهله فيها مدة من الزمن... - ثم؟! - ثم اجمع ما استطعت من الذهب و الفضة. - و بعد؟ - و ابدأ بصك الدرهم و الدينار... وليكن فيها شعار الاسلام.. قل هو الله أحد و محمد رسول الله.. - و بعد! [صفحة ١٣٤] - فاذا فرغت من ذلك امنع تداول النقد الرومى و اعرض النقد الاسلامى بدلا عنه.. و سن لذلك العقوبات لمن يخالف ذلك. كان «روح» يصغى باعجاب لما يسمع فتمتم فى نفسه: - الله أعلم حيث يجعل رسالته. انطلقت فى الصباح الباكر خيول بلق، تنهب المسافات الى المدن و الحواضر، تحمل رسائل متشابهة بالغه السريه. شهدت أسواق الذهب و الفضة حركة غير عادية... و كانت الحلى الذهبية تختفى شيئا فشيئا... و النسوة يعين أقراطهن و قلاندهن مقابل مبالغ مغرية. و نشأت معامل لصك الدنانير الذهبية.. و بدأ العمل بانتاج النقد الجديد و ظهر لأول مرة فى التاريخ الدينار الاسلامى يتألق يحمل نداء التوحيد و شعار الرسالة المحمدية. ودع محمد مدينة دمشق بعد أن اطمأن الى زوال الخطر... كان يحمل معه نماذج من النقد الجديد، و فيها نقوش تشير الى مرور اربعة و سبعين سنة على بدء التاريخ الهجرى و قيام الدولة الاسلامية. وقف عبدالملك يشيع ضيفه بنظرات متأمله فيها حذر و قلق بدأت تساوره من ابناء على... فهؤلاء يمثلون القمة فى كل شىء... حتى الشباب منهم. انه لن ينسى جلوسه مع «محمد» جلسة التلميذ فى حضرة استاذة... لم تشفع له ابهة الملك أمام هيبه ابن على... سيبقى على و ابناؤه هاجس الملوك على مر الأيام. [صفحة ١٣٥] غاب الضيف عن الأنظار، و انكفا الخليفة نحو أروقة قصره المنيف و هو يفكر فى رسالة الحجاج التي بعثها اليه قبل شهر. كما يطرد المرء ذبابه حطت على أنفه طرد عبدالملك فكرة قتل «ابن الحسين» و تتم فى نفسه: - لا.. لا.. كفانى ما سفكت من الدماء.. نظر الى أكياس طافحة بالدنانير الاسلامية فشعر بالثقة تملأ نفسه... استدعى كاتبه ليسطر له ردا قويا يليق بدولة الاسلام الى جوستينيان الثانى... ردا يحطم غروره الى الأبد؛ و أرفق مع رسالته نقودا اسلامية. [صفحة ١٣٦]

و سلاحه البكاء (٣٦)

مرت أعوام و أعوام و التاريخ ما انفك يشعل الحوادث. خيول الاسلام تدق أبواب «مرعش» من أرض روم، و توغل فى السند فى بلاد ماوراءالنهر، و المعارك مع الكاهنة مازالت ضارية. و قد ثار «الأزارقة» فى «كازرون» ثم فى «الجزيرة» و ثار «ابن الجارود» على

الحجاج، و ثار الزنج في البصرة بزعامه «شيرزاد». الروم يغيرون على «قرطاجه» من أرض المغرب. و البادية العربية تردد قصة عشق بدوية «توبة» يهيم بحب «ليلي الأخيلية» و قد رفض أبوها تزويجها و هدد الخليفة العاشق اذا شرب بها. قال لها عبدالملك: - ما رأى منك توبة حتى عشقك؟ فأجبت على الفور: - ما رأى الناس منك حين جعلوك خليفة؟! و أراد أن يعرض بها فسأل: [صفحة ١٣٧] - هل كان بينك و بينه ريبه؟ - لا والله.. ولكنه قال لي كلمة ظننت انه خضع فيها لبعض الأمر فقلت له: و ذى حاجة فلنا له لا تبج بها فليس اليها ما حيت سبيل لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه و أنت لأخرى صاحب و خليل و لما ماتت ليلي في «ساوة» حلفت في سماء البوادي قصة عاشقين.. و تناقل الناس حكاية حب جديدة بين بثينة و جميل، من بنى عذرة، و قد مات الحبيب في مصر بعيدا عن حبيته. خيول الاسلام تندفع باتجاه أرمينيا، و في جبهة ماوراءالنهر يستمر الفتح حتى «خوارزم» ف «شومان» و الى مدينة «ترمذ». و الطاعون يجتاح مصر، ثم الشام و العراق، و يموت عبدالملك، فيتربع على العرش ابنه «الوليد» و تتصاعد و تيرة «الفتح» لتتخذ لها صبغة الاحتلال و التوسع، و يتدفق سيل الغنائم و سبي عذارى البلدان المفتوحة. و تفتح «طنجة» في أقصى المغرب أبوابها للجيوش الاسلامية حتى سواحل البحر. و يفر «جوستيان» من منفاه «سينوب» و يعود الى عرشه بمعونة البلغار [صفحة ١٣٨] و الوليد يطرد حاكم المدينة المنورة من منصبه، و يأمر بايقافه للناس للاقتصاص منه... أشرفت شمس ذلك اليوم لتعلن بدء يوم جديد خرج الناس زرافات زرافات ينظرون الى الزمن كيف يقهر.. ها هو «هشام المخزومي» الذي ما ترك أحدا الا اضطهده و صب حقه على بقية آل محمد. و مر رجل تقدم من الحراس المحيطين بالحاكم السابق فقال و أشار الى هشام: - ان هذا ضربني سوطين ظلما. - و هل يشهد لك أحد؟ - نعم.. هذان. - اذن تقدم و اقتص منه. و هوى الرجل فلوح بسوطه مرتين. تأوه «هشام» و تمتم: - ما أخاف الا من على بن الحسين فطالما أسأت اليه. تقدم رجل آخر فقال: - ان هذا بصق في وجهي دون حق. - و اليهود. - هذا و هذا - ابصق في وجهه اذا شئت. [صفحة ١٣٩] وقف الرجل و جمع ما استطاع من لعابه ليقذف به وجه «هشام». رفع كفا ترتجف و مسح وجهه و تمتم بحزن: - كل هذا يهون... ترى ماذا سيفعل بي على بن الحسين اذا حضر.. لاح من بعيد الرجل «السجاد» «ذو النفثات» كان يمشى الهويني في طريقه الى المسجد حيث أوقف المغضوب عليه للاقتصاص. تصاعدت دقات قلب «هشام».. أضحت كطبل أفريقي يرسل صيحات استغاثة. قال على لابنه عبدالله: - ان هذا الرجل قد عزل و أوقفه «الوليد» للناس فلا يتعرض له أحد بسوء. تعجب الابن: - و لم يا أبت... لطالما أساء الينا.. و هذا ما نبغيه اليوم. التفت الأب الى ابنه و هو يعظه: - يا بني نكله الى الله. و لما أصبح السجاد بمحاذاة و استعد «هشام» للحظة الانتقام اذا به يسمع شيئا لم يخطر على باه. قال السجاد: - اذا احتجت الى مال يطلبه أحد منك فلدينا ما يسعك فلا تقلق.. و طب نفسا منا و من كل من يطيعنا. [صفحة ١٤٠] أحدثت الكلمات دويا في نفسه حتى ان المرء ليتمكن أن يرى أصدقاء الانهيارات و هي تنعكس في عينيه و في قسما و وجهه. هتف «هشام»: - الله أعلم حيث يجعل رسالته. و أخذ «ذو النفثات» سمتة نحو المسجد... و قد التفت حوله جموع المؤمنين. و تدفق شلال الصلاة في مسجد النبي يصلى فيه حفيده. [صفحة ١٤١]

و سلاحه البكاء (٣٧)

- ألا- تذهب الى المسجد يا أبى؟! قالت الصبية لأبيها الشيخ... تمتم و مياه الوضوء تتقاطر من وجهه: - والله يا بنتي اني لأخجل من نفسي.. - و لم؟ - لقد رأيت في ظهيرة اليوم ما لم أره و لن أراه. - و ما رأيت يا أبة؟ - رأيت الحسن بن الحسن. - السجين الذي انهالوا عليه بالسياط في مسجد النبي قبل شهرين. - أجل... رأيت اليوم يقف على رأس ابن عمه على بن الحسين... فشتمه و أسمعته سيئ الكلام... والله لو ددت أن أصفعه. - و ماذا حصل؟ - لا شيء، أطرق «السجاد» و لم ينبس ببنت شفة أجلا لا لمسجد [صفحة ١٤٢] جده سكت الشيخ هنيهة و استأنف حديثه: - فلما غادر الحسن المسجد، رفع على رأسه و نظر الينا. كنا جميعا ساكتين... و عرف ما في قلوبنا من رغبة في أن يرد له الصاع صاعين... و فرحنا عندما قال لنا: قد سمعتم ما قال الرجل و أنا أحب أن تنهضوا معي حتى تسمعوا ردى عليه. فنهضنا معه و انطلقنا نحث الخطى الى منزل الحسن و هتف «السجاد» بابن عمه فخرجت جارية تسأل عن الطارق فقال:

قولى له على بن الحسين فخرج الينا متوثبا عيناه تقدحان شرا مستطيرا. - و ماذا حصل يا أبى؟ - أمر عجيب يا بنيتى. لقد ورثوا مكارم الخلق عن جدهم.. لم يزد على أن قال له: يا أخى انك قد وقفت على أنفا و قلت و قلت.. فان كان الذى قلته حقا فأنا استغفر الله منه و ان كان باطلا- ما قلت فغفر الله لك.. - يا لهذا الحلم! فماذا قال الحسن؟ - يا بنيتى والله رأيته يرتجف و قد سقطت العصا من يده و تصبب جبينه عرقا.. لكأن الأرض تهتز تحت قدميه... و رأيته يبكى مثلما يبكى الأطفال.. ثم ألقى بنفسه على ابن عمه و قال: أجل والله قلت فيك ما ليس فيك و أنا أحق به. قال السجاد و هو يقبله: [صفحہ ١٤٣] - أعرف انما دفعك الى ذلك الحاجة. و أخرج من جيبه صرة فيها ألف دينار و ناولها اياه. و سمعته لما عدنا الى المسجد يقول: ما تجرعت جرعة أحب الى من جرعة غيظ لا اكافئ بها صاحبها. ظلت الصبية مأخوذة بما تسمع. و تمت: - هذه والله مواعظ الأنبياء. راحت الفتاة تراقب والدها و هو يلج عالم الصلاة و يرفع كفين معروقتين الى خالق السموات و الأرضين الله رب العالمين. ارتفعت طرقات على الباب... و خفت الفتاة لتعرف الزائر.. كانت النجوم قد اجتمعت فى السماء؛ هتف الطارق: - أنا على بن الحسين. صاح الشيخ فى حجرته: - واسواتاه ظننى مريضا فجاء يعودنى. و انطلق الشيخ لاستقبال رجل ما على وجه الأرض شبيه له. ملأت رائحة الطيب فضاء البيت لكأن الربيع قد حل ضيفا عندهم همس السجاد و قد أضاءت ابتسامه وجهه الحزين: - ألقنى غيابك أباخالد. لم يجد الشيخ ما يقوله فهض يقبل جبين ضيفه العظيم. ملأ رثيته من عبر النبوات. و هتف مأخوذا: - الله أعلم حيث يجعل رسالته. [صفحہ ١٤٤]

و سلامه البكاء (٣٨)

دمشق تصطبغ بأسواق النخاسة و آلاف العذارى من أجناس بشرية عديدة معروضة للبيع و نظرات جائع مشتبهة تصفح وجوها جميلة تشوبها ذلة السبى و حزن فراق الأحبة. فتيات من بلاد ماوراءالنهر من «سمرقند» و «بخارى» و بربريات من «طنجة» و «القيروان» و حسناوات من «أرض روم» و «سوسنة» و... و.. و قد عبر طارق البحر تحمله سفن عربية و اخرى «سبتية» فيرسو عند شواطئ جبل «كالبى» و يتخذ الجبل اسم الفاتح الجديد... السفن تشق مياه المحيط فتفتح «الجزيرة الخضراء» ثم «قرطاج» ثم تقتحم البر الاسباني لتسقط «طليطلة» عاصمة الدولة القبطية، و الخيول العربية تغسل اقدامها فى شواطئ البوسفور. و دمشق تستقبل قوافل السبى لتنضم الى أسواق النخاسة هنديات لهن عيون المها. قصر الخضراء يتألق فى غمرة القناديل المضيئة، فالمجد لل سيف [صفحہ ١٤٥] و الحصان، و طبول الحرب. كانت أنغام الموسيقى تفتن عليه القوم و النفوس نشوى تطير فى عالم الخيال... عالم يصنعه عصير شفاف مشوب بحمرة رائقة تدب فى الرؤوس كدبيب النمل... فيغفو العقل و تحلق النفوس فى عوالم مسحورة زاخرة بالأوهام. ولكن ما باله الخليفة هذه الليلة... يكاد يضيق بما حوله و بمن حوله... ألا يعجبه منظر الجوارى يرفلن بالحرير الملون.. و هذه الخمر الرومية و رائحة الشواء... و تلك الحلوى الفارسية. فغر الحاضرون أفواههم و قد سمعوا الخليفة يطلب مصحفا، توقفت الموسيقى عن ارسال أنغامها، و جمدت الجوارى فى أماكنها و ساد القصر و جوم غريب. جاء الحاجب يحمل مصحفا مذهبا مرصعا بالجواهر و وضعه بين يدي «الوليد». فتح الرجل الذى لم تسكره الخمر بعد المصحف، فوقع عيناه على أول آية و صدح القرآن بصوت الحق «و استفتحوا و خاب كل جبار عنيد». شعر الوليد بأن الكلمات تغوص فى أمعائه كسيوف حادة... ريح مجنونة تعصف برأسه. صرخ خليفة المسلمين: - اصلبوه! أمسك الجلاوزة بكتاب السماء.. [صفحہ ١٤٦] اصلبوه الى اسطوانة فى وسط البلاط. ها هو فرعون يسخر من موسى.. يلتفت الى هامان: - «فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى و انى لأظنه كاذبا». و ارتقى فرعون صرحا عاليا. حمل معه قوسه فلما ان بلغ الذرى، وضع فى كبد القوس سهما و أطلقه باتجاه السماوات!! «الوليد» يضع فى كبد القوس سهما و يسدد باتجاه القرآن المصلوب، و تنهال السهام.. و تتناثر آيات القرآن فوق رخام البلاط.. كان الوليد مفتونا بما يفعل و هو ينشد بصوت يشبه فحيح الأفاعى: تهدد كل جبار عنيد فيها أنا ذاك جبار عنيد اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقنى الوليد فى الصباح لبس الوليد ثياب الخلافة، و وقف يودع أخاه «هشاما» أميرا على الموسم... و ابتعد الموكب عن أسوار دمشق فى طريقه الى الحجاز و لم

ينس «الوليد» أن يدس معه رجالا- في مهمات سرية.. يحملون معهم مركبات مستحضرة في القسطنطينية باهضة الثمن كان معاوية يحرص على استيرادها دائما. [صفحة ١٤٧]

و سلاحه البكاء (٣٩)

قوافل الحجاج تنساب في بطون الأودية، لكنّها تصغى الى نداء ابراهيم؛ الكتل البشرية تتدفق صوب أول بيت وضع للناس، و موسم هذا العام موسم زحام بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و نسي الناس أو كادوا ذكريات حزينه، أو دفنوها في أعماق القلوب. و تعلق في الآفاق نداءات الحرية للانسان عندما يعبدالله وحده و تهتف الحناجر الآدمية: لييك اللهم لييك... لييك لا شريك لك لييك.. ان الحمد و النعمة لك و الملك لا- شريك لك... و تطفو الكعبة في بحر الأمواج البشرية و هي ترفل بثياب الحج البيضاء كحمام السلام. و هنا يدرك الانسان أن لا- اله الا الله... لا رب سواه و ان الناس سواسية لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى... فيصغى المرء الى كلمات الله و هي تتدفق في قلب الانسان: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم» فتهوى الحواجز و تتلاشى الامتيازات و تتمزق الحجب و اذا المسلم أخو المسلم حقا و اذا القلوب تتطهر من [صفحة ١٤٨] أدران الشرك. كان «هشام بن عبدالملك» يطوف حول الكعبة لا يكثر له أحد و لا يهابه انسان حوله رجاله من أهل الشام... بذل هشام كل ما بوسعه في استلام الحجر الأسود ولكن الأمواج البشرية كانت تصده في كل مرة فيرجع خائبا. بان الحق في عينه الحولاء. ألقى بنفسه على كرسى في ناحية من الحرم و جلس ينظر و ينتظر انحسار الأمواج البشرية؛ شعر بأنه ليس شيئا في هذا المكان، و بدا له الحجر الأسود بعيدا.. بعيدا جدا. و أقبل رجل قد اجتاز الخمسين من السنين، و كان وجهه يضيئ كقمر بين الغيوم.. و حدث أمر عجيب . تناثرت أسئلة و ارتسمت علامات استفهام. تساءل شامى و هو يتطلع الى رجل يرفل بحلته البيضاء الناصعة نصاعة الثلوج في جبال الشام. - من هذا الرجل الذى يفرج له الناس كملك عظيم؟! و هتف بأصحابه: - انظروا.. انظروا.. انه يشق طريقه بيسر الى الحجر الأسود. قبل الرجل ذى الوجه المضيئ الحجر الأسود و استأنفت الأمواج البشرية تدافعها من جديد. التفت الشامى الى خليفة المستقبل: - من هذا؟! [صفحة ١٤٩] رد الأحوال بغيظ: - لا أدرى. وحده القدر يفسر مرور الشعراء فى لحظات يتوقف عندها التاريخ باجلال. هتف الفرزدق: - ولكنى أدرى من هو. تساءل الشامى بشوق: - و من هو يا أبافراس؟ فأندس: هذا الذى تعرف البطحاء و طأته و البيت يعرفه و الحل و الحرم هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا اذا رأته قریش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهى الكرم يكاد يمسكه عرفان ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم و ليس قولك من هذا بضائره [صفحة ١٥٠] العرب تعرف من أنكرت و العجم. استشاط هشام حقدًا.. و بدت عينه الحولاء تتراقص فى محجرها. و تخطفت الجلاوزة شاعرا نث روح القدس على لسانه.. و سيق الشاعر مخفورا الى السجن فهذا زمن مصنوع من خشب و نحاس... زمن لا يعرف للكلمة حرمتها.. زمن غابت فيها الآيات وراء القضبان. [صفحة ١٥١]

و سلاحه البكاء (٤٠)

كانت الرياح شتائية باردة و الليل يغمر بظلمته المدينة. الأزقة مقفرة و قد أوى الناس الى النوم، ما خلا بيوت متواضعة كان الضوء يرسل أشعته الواهنة من كوى صغيرة فيها؛ و خلف أبوابها كانت آذان تترقب قدوم «صاحب الجراب». تساءل «ابن شهاب» و هو يرى رجلا يمرق فى الظلام، كان الرجل ملثما ولكنه عرفه؛ ولكن ما دعاه الى الخروج فى الساعة من الليل، كان «ابن شهاب» عائدا من قصر «الوالى». هتف «الزهرى»: - يابن رسول الله! ما هذا؟! عدل «حامل الجراب» جرابه و أجاب: - أريد سفرا و هذا زادى. تعجب «ابن شهاب». - دع غلامى يحمله عنك اذن. رفض «السجاد» و حاول «الزهرى» أن يأخذ الكيس عنه. - دعنى أحمله أنا.. [صفحة ١٥٢] - انه زادى و أنا أحق بحمله... اسألك بحق الله أن تتركنى و تمضى. و غاب «صاحب الجراب» فى زقاق ملئ بالليل و البرد. عدل

من لثامه و طرق بابا صغيرة و وضع شيئاً ثم مضى... و توقف أمام بيت يكاد جداره أن ينهار. نقر على الباب و ترك شيئاً على عتبة ثم استأنف طريقه في الأزقة و البرد و الظلام. و مرت ساعات عاد بعدها «صاحب الجراب» بلا جراب، كانت النجوم تشتد بريقاً في السماء و قد انفتحت نوافذ الملكوت. و لج السجاد محرابه... و تدفق نبع من الصلاة فقد آن لقاء الحبيب مع محبوبه.. و انسب نهر من كلمات الانسان و هو يشدو بحب بارئ الخليقة: - الهى من ذا الذى ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً؟ و من ذا الذى أنس بقربك فابتغى عنك حولاً؟ الهى فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك و ولايتك و أخلصته لودك و محبتك و شوقته الى لقائك و رضيته بقضائك و منحتة بالنظر الى وجهك و حبوته برضاك و اعذته من هجرك و قلاك و بوأته مقعد الصدق فى جوارك... [صفحة ١٥٣] و خصصته بمعرفتك... و أهله لعبادتك... و هميت قلبه لارادتك... و اجتبيته لمشاهدتك... و أخليت وجهه لك... و فرغت فواده لحبك... و رغبته فيما عندك... و ألهمته ذكرك... و أوزعته شكرك... و شغلته بطاعتك! و صيرته من صالحى بريتك... و اخترته لمناجاتك... و قطعت عنه كل شىء يقطعه عنك. الهى! اجعلنا ممن دأبهم الارياح اليك و الحنين... و دهرهم الزفرة و الأنين... جباههم ساجدة لعظمتك... و عيونهم ساهرة فى خدمتك... و دموعهم سائلة من خشيتك... و قلوبهم متعلقة بمحبتك و أفئدتهم منخلعة من مهابتك... [صفحة ١٥٤] السماء تكتظ بالنجوم و قد تكاثفت ظلمة الليل فانطلقت استغاثة قلب الانسان عندما تفتح أبواب الملكوت: - يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة! و سبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة! يا منى قلوب المشتاقين! و يا غاية آمال المحبين! أسألك من حبك و حب من يحبك! و حب كل عمل يوصلنى الى قربك و ان تجعلك أحب الى مما سواك و ان تجعل حبى اياك قائدا الى رضوانك و شوقى اليك ذاذا عن عصيانك و امنن بالنظر اليك على و انظر بعين الود و العطف الى و لا تصرف عنى وجهك و اجعلنى من أهل الاسعاد و الحظوة عندك يا مجيب. يا أرحم الراحمين. العينان تسحان الدموع.. دموع الحب الالهى المفتون.. كسما تمطر على هون.. تغسل الأشجار و الأرض فتهتز و تربو... و الدموع تغسل قلب الانسان فيشرق بنور ربه و ينبض بالحب و الأمل و السلام. [صفحة ١٥٥]

و سلاحه البكاء (٤١)

- ماذا أرى؟ هتف الزهرى و قد وقعت عيناه على «السجاد» بين المحراب و المنبر و أردف و هو يحث الخطى اليه: - ألم يخبرنى بأنه على سفر؟! أو ما مسلماً و هتف: - يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر أثراً؟! تتمم السجاد بخشوع من أوشك على الرحيل عن الدنيا: - بلى يا زهرى... ولكن ليس كما ظننت، انما هو سفر الآخرة. - و المتاع الذى كنت تحمل لم يكن غير صدقات للفقراء؟ و تتمم متأثراً و هو يتبعد: - نعم السفر سفره الآخرة و خير الزاد التقوى. انتحى الزهرى زاوية من المسجد و كان ما يزال متأثراً، قال صاحب له: - انك لا تفتأ تذكر على بن الحسين بخير. [صفحة ١٥٦] التفت الزهرى و قد شم رائحة تملق. - ويحك يا هذا والله لم أر ولن أرى مثل على بن الحسين ما حييت... لقد رأيت مقيدا بالحديد و قد أحرق الحراس به يريدون ارساله الى دمشق بأمر عبدالملك؛ فاستأذنتهم فى وداعه فلم أملك نفسى عن البكاء فبكيت و قلت له: وددت انى مكانك و أنت سالم فرجع بصره الى و قال: - يا زهرى أتظن ان ما ترى على و فى عنقى يكرثنى، أما لو شئت لما كان، و انه ليذكرنى عذاب الله. التفت الزهرى الى صاحبه و قال: - أتصدقنى لو قلت لك لقد رأيت يخرج يديه و قدميه من القيود وكأنها خيوط عنكبوت!! فما مضت أربع ليال حتى عاد الجنود يبحثون عنه فى المدينة فسألت أحدهم عما حصل فقال: فقدناه و لم نعثر له على أثر و وجدنا القيود و الأغلال فى مكانه. هتف الرجل: - أمر عجيب. - و أعجب منه هوانى لما قدمت بعد ذلك على عبدالملك و أخبرته بما رأيت قال: لقد جاءنى يوم فقدته الحراس فدخل على و قال: ما أنا و أنت؟ فقلت له: أقم عندى فى الرب و السعة. [صفحة ١٥٧] فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ قلبى منه رعباً. و حدثنى طاووس مرة قال: رأيت رجلاً يصلى فى المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو و يبكى، فجئته حين فرغ من الصلاة فاذا هو على بن الحسين فقلت له: يابن رسول الله أتخاف و لك ثلاثة: أنت ابن رسول الله، و شفاعه جدك و رحمة الله؟ فقال: يا طاووس أما

النسب فان الله تعالى يقول: فلا أنساب بينهم يومئذ، و أما الشفاعة فان الله تعالى يقول: لا يشفعون الا لمن ارتضى. و أما رحمة الله فان الله عزوجل يقول: انها قريبة من المحسنين. و لا أعلم اني محسن. و أردف الزهري و هو ينهض للصلاة: - و لقد مضت عليه عشرون سنة و هو يبكي أباه و يقول: انما أشكو بثي و حزني الى الله و أعلم من الله ما لا- تعلمون. و الله ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين. و تمر الساعات بطيئة: في ليلة تسمرت النجوم في سماءها. و لم تغمض عيون المدينة... الرياح الباردة تجوس الأزقة... تعوى و هي تطرق الأبواب.. و النوافذ. حتى اذا طلع الفجر... سكن كل شيء و قد انطفأت النجوم و انبعثت صرخة في قلب الغبش الرمادي لقد رحل علي بن الحسين؛ و عندها عرف الناس هوية الرجل [صفحة ١٥٨] الذي كان يجوس أزقة المدينة في الليل و يهب الفقراء الفرحة و الدفء و الأمل. و لما اثالت عليه المياه.. رأى الناس على ظهره مثل ركب الابل. سأل رجل مدهوشاً: - ما هذا؟ أجاب حفيد له: - لقد كان يحمل على ظهره جراباً كل ليلة فيطوف منازل الفقراء. بكى الرجال بمرارة. لقد رحل السلام فالمدينة يلفها برد و ظلام... و عامنا عام حزن. كانت المدينة تبكي بصمت.. تبكي رحيل الأشياء الملونة. لم يبق منها سوى طيوف تحلق في سماء الذكريات. و في دمشق تقام الأفراح... و الوليد الملك السعيد يتلقى أبناء بهجة... فملكته تتوسع شرقاً و غرباً و كنوز المدن المقهورة تتدفق صوب دمشق؛ غير مكترث لما حل بانطاكية و فدمرتها الزلازل. ولكن هل يتوقف التاريخ عند هذه النهاية؟! - «كلا اذا دكت الأرض دكا دكا.. و جاء ربك و الملك صفا صفا.. و جاء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان، و أنى له الذكرى.. يقول: يا ليتني قدمت لحياتي.. [صفحة ١٥٩] فيومئذ لا يعذب عذابه أحد.. و لا يوثق وثاقه أحد.. يا أيها النفس المطمئنة.. ارجعي الى ربك راضية مرضية.. فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي.. كمال السيد ٣ ذو الحجة ١٤١٦ هـ

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثقليين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأدق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -

في آكناف البلد - و نشر الثقافة الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كمشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد

جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم

المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى

بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم

- في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمة

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

